دُرَرُ الغَوَّاص

عَلى فَتاوى سيِّدي علي الخَوَّاص

تأليف

الإمام الفقيه الربّاني

أبي المواهب عبد الوهّاب بن أحمد الشعراني الشافعي

(٨٩٨ - ٩٧٣ هـ)

حققه وخرج أحاديثه

الدُّكتور سليم شبعانية

دار التقوى

للطباعة والنشر والتوزيع

دُرَرُ الغَوَّاص

على فتاوى سيّدي علي الخوّاص

تأليف

الإمام الفقيه الرّبّاني

أبي المواهب عبد الوهّاب بن أحمد الشعراني الشافعي

(٨٩٨ - ٩٧٣ هـ)

حققه وخرج أحاديثه

الدُّكتور سليم شبعانية

دار التقوى

للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : درر الغواص

المؤلف : عبد الوهاب الشعراني

الطبعة الأولى

الرقم الدولي: ISBN: 978-9933-9128-4-0

تاريخ الطبع : ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

9 789933 912840

دار التقوى
للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا . دمشق . حلبوني . ص.ب: ٣٠٧٢١
هاتف: ٢٢١٥٤٦٤ - ٠٩٣٣٢٠٦٠٠٧
فاكس: ٢٢١٨٣٠٨ ١١ ٩٦٣+
E-mail: daraltaqwa.pu@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمَّداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبيِّ العربي القرشي الكريم، وارضَ اللَّهم عن آله الطّاهرين، وصحابته الطيبين، وعمّن تبعهم بإحسانٍ من الأولياء والأصفياء والصالحين.

أما بعد:

فإنَّ كتاب (درر الغوّاص) حقاً هو دُرَرٌ، بل أثمنها وأعلاها قيمة، وإنَّ أغلى الدرر عند أكبر جوهرجيّ لا ترتقي بقيمتها إلى شيء من قيم درر فتاوى الخوّاص. لماذا؟!.

الجواب: إنَّ تسمية الكتاب بالفتاوى فيه تجوّزٌ، لأنَّ الفتوى - أيَّ فتوى - هي الإخبار عن حكم القضيّة في الشَّرع، والمخبر بهذا الحكم هو المفتي، وعلى قدر مقدرة المفتي تكون الفتوى أقرب للصواب.

وإن الفتوى لا تكون فتوى شرعيّةً إلا إذا صدرت من معينها الصحيح بشروطها وأركانها.

ولقد قال العلماء: (إن الواجب على من أراد أن يعمل لنفسه، أو يفتي غيره، أن يتبع القول الذي رجّحه علماء مذهبه، فلا يجوز له العمل أو الإفتاء بالمرجوح إلا في بعض المواضع)[1].

وكلام القرافي دال على أن المجتهد والمقلّد لا يحلُّ لهما الحكم والإفتاء بغير الراجح، لأنه اتباعٌ للهوى، وهو حرام إجماعاً.

وفي آداب المفتي: إن من يكتفي بأن تكون فتواه أو عمله موافقاً لقولٍ أو وجه

(١) مجموعة رسائل ابن عابدين (١/ ١٠).

في المسألة، ويعمل بما شاء من الأقوال والوجوه من غير نظر في الترجيح فقد جهل وخرق الإجماع.

ولا بد للمفتي المقلّد أن يعلم حال من يفتي بقوله. ويقصد بمعرفة الحال: معرفته في الرواية، ودرجته في الدراية، وطبقته من طبقات الفقهاء، ليكون على بصيرة وافية في التمييز بين القائلين المتخالفين، وقدرة كافية في الترجيح بين القولين المتعارضين[١]، وللقارىء أن يتعامل بحريّة مع هذه الفتاوى بهذا المنطلق.

ووظيفة المفتي لا تعدو بيان المسائل التي يُسألُ عنها، فإن كان مجتهداً أبدى حكمها بنظره واجتهاده، وإن لم يكن مجتهداً أفتى برأي غيره، ومع ذلك، وعلى كُلٍّ، فليست فتواه ملزمة لمن يستفتيه، وللمستفتي مطالبته بالدليل، وله أن يستفتي غيره ممن يطمئن إلى علمه. ولك - أيها القارىء - أن تتعامل مع فتاوى الخوّاص على هذا المبدأ.

وفي ظلِّ النظر الفردي الذي قرّره الإسلام؛ اجتهد كلُّ من آنس من نفسه أهليّة النظر، وكان لكلِّ ناظر طريقته في البحث والاستدلال:

فمنهم: من ضيّق سبيل الأخذ بالأحاديث، وشدد في شروط قبولها نظراً لشيوع الوضع أو الشَّك في كثير منها، وآثر عليها القياس وتحكيم القواعد العامة وروح التشريع، وعُرِفَ هؤلاء في تاريخ الفقه الإسلامي بأهل الرأي.

ومنهم: من اقتنع برأيه في الراوي من جهة الصّدق والعدالة، فآثر الحديث على القياس، وأخذ منه بما لا يأخذ به الفريق الأول، وعرف هؤلاء بأهل الحديث.

ومنهم: من اعتمد التقاليد التي كانت سائدة في العمل عند أهل المدينة، وهي البيئة التي كان فيها التشريع التفصيلي في زمن الرسول ﷺ.

ومنهم: من أخذ بالرأي الذي كان معروفاً في عهد أصحاب الرسول قبل أن تحدث فتنة الانقسام على الملك والسّلطان.

ومنهم: من أفتى انطلاقاً من فهمه القريب أو البعيد لبعض النّصوص القرآنية أو الحديثية، أو لبعض الأفكار العامة في الإسلام، أو لما انبثق من قلبه من إلهامٍ أو تيهٍ

(١) المصدر السابق (٢/ ١٠-١١).

حول مسألة سُئِلَ عنها، أو تماسّت مع كيانه، فخرج عن فتوى هذا هو مصدرها. وإنَّ الخوّاص مفتي من هذا النوع.

وكذلك كما وقع الاختلاف في طرق الاجتهاد الفردي من هذه الجوانب فيما ليس فيه نصٌ قاطع من كتاب أو سنّة، وقع أيضاً في مدى استخدام علل الأحكام، وفي مدى تطبيق القواعد العامة، وفي تحرير قواعد اللغة في فهم النصوص المحتملة.

وإذا نظرت في فتاوى الخوّاص، قد لا تجده وقف عند القواعد العامّة فحسب وابتنى عليها فتاويه، بل أخذ بالأعم منها على غرار من سأل أو أجاب، إذِ التقى عارفٌ بالله كالشيخ علي الخواص بشيخٍ فقيهٍ عالم بالشرع فتحاورا:

العارف بالله: ما زكاة المال عندكم؟.

الفقيه: ٢,٥٪ للفقراء.

العارف بالله: أما عندنا فالمال كلّه لله.

العارف بالله: أي أوقات الصّلاة أفضل؟.

الفقيه: الوقت الأوّل من الصَّلاة.

العارف بالله: بل - عندنا - أن تكون في كلِّ الأوقات في صلاة.

العارف بالله: أيُّ الصَّلاة هي الوسطى عندكم؟.

الفقيه: صلاة العصر.

العارف بالله: أما عندنا فكلُّ الصّلوات وسطى.

الفقيه: كيف؟.

العارف بالله: الوسط هو العدل. ثم إن كلَّ صلاةٍ تقع في الوسط بين صلاتين.

العارف بالله: من الملتفت عندكم في الصلاة؟.

الفقيه: الذي يلوي عنقه يميناً أو يساراً.

العارف بالله: عندنا ذلك الذي يطرف قلبهُ ولو لحظة واحدة عن الله تعالى.

العارف بالله: من المشرك؟.

الفقيه: الذي يعبد مع الله غيره من صنم وغيره.

العارف بالله: عندنا المشرك هو الذي يرى غير الله موجوداً.

العارف بالله: ما هما النعلان اللذان أمر بخلعهما؟.

الفقيه: إنّما هما نعلاه اللذان كان ينتعلهما.

العارف بالله: بل هما - عندنا - الدُّنيا والآخرة.

العارف بالله: ما تقول بقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثّر: ٤]؟.

الفقيه: هي الإزار والرداء.

العارف بالله: هي عندنا القلب.

العارف بالله: ما الصيام عندكم؟.

الفقيه: الإمساك عن المفطّرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النيّة.

العارف بالله: عندنا هو الإمساك عن غير الله تعالى طول العمر.

العارف بالله: عندكم التوبة من ماذا؟.

الفقيه: من الذنوب؛ وعندكم؟.

العارف: من الغفلة عن الله.

العارف: من العالم؟.

الفقيه: الذي يحفظ من كتاب الله تعالى.

العارف: ليس العالم من يحفظ من كتاب الله، فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً، بل من يأخذ علمه من ربّه أيّ وقت شاء بلا تحفظ ودرس، وهذا هو العالم الربّاني. لقد أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لا يموت.

وبعد استعراض نتف من فتاوى العارفين بالله تعالى، ترى ما تقول فيها، هل هي شرعية؟ أم نأت عن روح الشرع؟.

أقول: لقد كان في تقرير حق الاجتهاد الفردي والجماعي ما فتح لأهل البحث والاستنباط من العلماء أوسع الأبواب لتخيّر القانون الذي ينظم شؤون المجتمع على اختلاف ظروفه، غير مقيّدين فيما يختارون بشيء واحد، وهو عدم المخالفة لأصل من أصول التشريع القطعيّة، مع تحري وجوه المصلحة وسبيل العدل، وكان ذلك أساساً لدوام الشريعة الإسلاميّة، وصلاحيتها لكلّ زمان ومكان، فهل تعثر في فتاوى

الشيخ الخوّاص على فتوى تحلُّ حراماً - مثلاً - أو تحرّم حلالاً، أو تبيح محظوراً؟ أبداً لم نجد، فإذن جاءت فتاواه رافداً جديداً رفد النهر الفقهيّ الغزير، فأكسبه غزارةً إلى غزارته، وطعماً طيباً إلى طعمه الطيّب، والأهم من كل ذلك أنه أحدث راحةً في قلوبِ شريحة كبيرة من المسلمين، يتعاطون أمور الشرع من جانبه الروحي البحث، فرأوا في فتاوى الشيخ الخواص ما لم يروه في فتاوى جيش المفتين الذين سبقوه.

وكأنَّ فتاوى الخوّاص تعاطت مع السرائر، ولم تُعْنَ بالظّاهر، فجاءت ملبية لنهمةِ ذوي السرائر، وبنفس الوقت لم تَرُقْ للغارقين في الظواهر.

وقد يجد المتصلّب في العلم الظاهر، ولم يفتح نحو قلبه نافذةً روحية يأتيه من قبلها النسيم العليل الذي يشتَمُّهُ أهل الله تعالى فيطربون به وينتشون ويتواجدون، قد يجد تباعداً في فتاوى الشيخ الخوّاص عن سكة القواعد التي اتخِذَت منطلقاً للفتوى الشرعية، فيستشيط غضباً - نصرة للشرع حسب ظنّه - فنقول له: على رسلك؛ ما كلُّ الأحكام تكال بمكيال واحد، فإن المفتي الذي نوّر الله بصيرته، فالموازين عنده متعددة، وكلُّ فتوى تصدر عنه بمعيار.

* * *

ترجمة الشيخ علي الخواص

صاحب هذه الفتاوى هو الشيخ علي الخواص، هو الذي نطق بها، وكان قد سأله عنها أو سمعها منه الشيخ العارف بالله تعالى الإمام عبد الوهاب الشعرانيُّ، فمن هو الخوّاص؟.

يجيبنا الإمام الشعراني فيقول عنه في طبقاته الكبرى (٢/ ١٥٠ رقم ٦٣): شيخي وأستاذي سيّدي علي الخواص رضي الله عنه ورحمه، كان رضي الله عنه أميّاً، لا يكتب ولا يقرأ، وكان يتكلّم على معاني القرآن العظيم والسُّنّة المشرّفة كلاماً نفيساً تحيّر فيه العلماء، وكان محلّ كشفه اللوح المحفوظ[١]، عن المحو والإثبات، فكان إذا قال قولاً لا بدَّ أن يقع على الصّفة التي قال فيها، وكنت أرسل له الناس يشاورونه عن أحوالهم، فما كان قط يحوجهم إلى كلام، بل كان يخبر الشخص بواقعته التي أتى لأجلها قبل أن يتكلّم، فيقول: طلّق مثلاً أو شارك، أو فارق، أو اصبر، أو سافر، فيتحيّر الشخص ويقول: مَنْ أعلمَ هذا بأمري؟!!.

وكان له طبٌّ غريب يداوي به أهل الاستسقاء، والجذام والفالج والأمراض المزمنة، فكلُّ شيءٍ أشار باستعماله يكون الشفاء فيه.

وسمعت سيّدي محمد بن عنان رضي الله عنه يقول: الشيخ علي البرلّسي (أي الخواص) أُعطي التصريف في ثلاثة أرباع مصر وقُراها.

وسمعته يقول مرة أخرى: لا يقدر أحد من أرباب الأحوال أن يدخل مصر إلا بإذن الشيخ علي الخواص رضي الله عنه.

وكان رضي الله عنه يعرف أصحاب المعرفة في سائر أقطار الأرض، ويعرف من تولّى منهم ساعة ولايته، ومن عزل ساعة عزله، ولم أرَ هذا القدم لأحد غيره من مشايخ مصر إلى وقتي هذا.

---

(١) وهذا من قبيل الكرامات التي يجريها الله تعالى خارقةً للعادة إعزازاً لأوليائه وتكريماً لهم، وإظهاراً لشأنهم العظيم عنده سبحانه. وكل ما يذكره الإمام الشعراني فيما بعد عن شيخه الخواص، إنّما هو كرامات أحدثها الله تعالى تكريماً له..

وكان له اطّلاع عظيم على قلوب الفقراء، فكان يقول: فلان اليوم زاد فتوحه كذا كذا دقيقة، وفلان نقص اليوم كذا كذا، وفلان فتح عليه بفتوح يدوم إلى آخر عمره، وفلان يدوم فتحه سنة، أو شهراً، أو جمعة، فيكون الأمر كما قال.

ومر عليه فقير فتح عليه بفتوح عظيم، فنظر إليه وقال: هذا فتوحه يزول عن قريب، فمرّ على ذلك الفقير شخص من أرباب الأحوال فازدراه ونقصه بكلمات، فراح ذلك الشخص إلى ذلك الفقير ودار له نعله، فسلبه ذلك الفتوح، فقال له الشيخ: يا ولدي قلة الأدب لا يمكث معها فتوح، ولم يزل مسلوباً إلى أن مات.

وكان رضي الله عنه يعظم أرباب الحرف النافعة في الدنيا، كالسّقّاء والزّبّال والطبّاخ والفيخراني، ومقدّم الوالي، ومقدّم أمير الحاج، والمعداوي، والطّوافين على رؤوسهم بالبضائع، ويدعو لهم ويكرمهم.

وكان رضي الله عنه يعظم العلماء وأركان الدّولة ويقوم لهم، ويقبّل أيديهم، ويقول: هذا أدبنا معهم في هذه الدار، وسيعلمنا الله تعالى الأدب معهم إذا وصلنا إلى دار الآخرة.

وكان إذا علم من أحد من أرباب الدولة أو غيرهم أنه قاصد السلام عليه، يذهب إليه قبل أن يأتي ويقول: كل خطوةٍ يمشيها الناس إلى الفقير تنقصه من مقامه درجة، فقيل له: فكيف تذهب أنت إليهم؟! فقال: أنا أذهب وأسأل الله تعالى لهم أن لا ينقص درجتهم، فإنّ أجري على الله تعالى لا عليهم.

وكان رضي الله عنه أولاً طوّافاً يبيع الصابون والجميّز والعجوة وكل ما وجد، ثم فتح دكان زياتة سنين عديدة، ثم صار يضفر الخوص إلى أن مات.

وكان لا يأكل شيئاً من طعام الظّلمة وأعوانهم، ولا يتصرّف في شيء من دراهمهم في مصالح نفسه أو عياله، إنما يضعه عنده للنساء الأرامل والشيوخ والعميان والعاجزين عن الكسب، ومن أربكتهم الديون، فيعطيهم من ذلك ما قُسِمَ.

وورمت عيناه مرة ورماً شديداً وهو يضفر الخوص، فأتاه شخص من أصحابنا بدراهم وقال: يا سيدي أنفقها واسترح حتى تطيب عيناك، فردّها وقال: والله أنا في هذا الحال ولا تطيب نفسي بكسب نفسي، فكيف بكسب غيري؟!.

وكان رضي الله عنه يعامل الخلق على حسب ما في قلوبهم، لا على حسب ما في وجوههم.

ومرّ عليه مرة شخص من الفقراء والنور يخفق من وجهه، فنظر إليه الشيخ فقال: اللهم اكفنا السّوء، إن الله إذا أراد بعبدٍ خيراً جعل نوره في قلبه، فظاهر جسده كآحاد الناس، وإذا أراد به سوءاً أظهر ما في قلبه على وجهه وجعل قلبه مظلماً.

وكان رضي الله عنه يكنس المساجد، وينظّف بيوت الأخلية، ويحمل الكناسة تارة ويخرجها إلى الكوم - احتساباً لوجه الله تعالى - كل يوم جمعة.

وكان يكنس المقياس[١] في كل سنة ثاني يوم نزول النقطة[٢]، وينفق على أصحابه ذلك اليوم نفقةً عظيمة، يقبض من عُبّه الدّراهم ويعطيها كل من رآه من المستحقين، ويزن عنهم كراء المعديّة[٣] - وهم نحو مائة نفس - ثم يفرّق السكر والخشكنان[٤] على أهل المقياس وجيرانه، ثم ينزل فيكشف رأسه ويتوضأ من المقياس، ويصير يبكي ويتضرّع ويرتعد كالقصبة في الريح، ثم يطلع يصلي ركعتين، ويأمر كل واحد من أصحابه أن ينزل ثم يكنس السُلّم بمشط من حديد، ويخرج الطين الذي فيه بنفسه، لا يمكّن أحداً أن يساعده فيه.

وكان يقال: إن خدمة النيل كانت عليه، وأمر طلوع النيل ونزوله، وريّ البلاد، وختام الزرع، كل ذلك كان يتوجّه فيه إلى الله تعالى. وكان أولياء عصره تقرّ له بذلك.

ولما دخل ابن عثمان مصر، أرسل له فقيراً ينظر كم معه من أصحاب النوبة، فذهب ورجع، فقال: معه سبعة، فقال: والله يغفر، يرجع إلى بلاده سالماً.

---

(١) المقياس: هو عبارة عن درجات بنيت على حافّة النيل إلى جهة الماء، كانت تتخذ ميزاناً يعرف بها ارتفاع منسوب مياه النيل عن انخفاضه، وإذا ردمت هذه الدرجات بالطين كان يعمل الشيخ الخواص على تنظيفها لتتم الحركة فوقها بسلام.

(٢) أي بداية موسم انحسار النيل، فيبادر بفعل الخير التماساً للخير.

(٣) كراء المعديّة: أولئك الذين يُعَدّوْنَ - من التعدية من مكان لآخر - البضائعَ من شط النيل إلى الآخر، فكان الخوّاص يعاونهم في وزنها تطوّعاً.

(٤) هي الحبوب المحلاة بالسُكر، وأكثرها تكون من الفول.

وكان سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه إذا جاءه أهل الحوائج الشديدة، كشخص رسم السلطان بشنقه، أو مسكه الوالي بزغل أو حرام أو نحو ذلك، يرسل صاحب الحاجة للشيخ علي ويقول: نحن ما معنا تصريف في هذا البلد، فتقضى حاجته.

وجاءته امرأة مرّة ـ وأنا قاعد ـ وقالت: يا سيدي نزلوا بوليد يشنقونه على قنطرة الحاجب؛ فقال: اذهبوا بسرعة للشيخ علي البرلّسي، فذهبت إليه أمه فقال: روحي معه، وإن شاء الله تعالى يلحقه القاصد من السلطان قبل الشنق، فهو طالع قنطرة الحاجب للشنق، وإذا بالشفاعة جاءت فأطلق.

ورأى الشيخ محمد بن عنان ليلةً بلاءً عظيماً نازلاً على مصر، فأرسل للشيخ علي، فقال: الله لا يبشره بخير، ولكن توافى البركة، فجاء جانبلاط المؤتمر محتسب مصر، فأخذ الشيخ علياً من الدكان وضربه مقارع، وخزمه في كتفه وأنفه، ودار به مصر وبولاق، فلما صلى الشيخ محمد الظهر ورأى البلاء ارتفع قال: روحوا انظروا إيش جرى للشيخ علي؟ فراحوا فوجدوه على تلك الحال، فردوا على الشيخ محمد الخبر فقال: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يتحمل عنها البلايا والمحن، ثم خرّ ساجداً لله عز وجل.

وكان إذا وقع نوء أيام زهر الفواكه لا ينام تلك الليلة وهو يتضرع ويبكي، ويسأل الله تعالى في رفعه.

وكان يملأ أوعية الكلاب دائماً في حاراته وغيرها.

وكان لا يراه أحد قط يصلّي الظهر في جماعة ولا غيرها، بل كان يرد باب حانوته وقت الأذان، فيغيب ساعة ثم يخرج، فصادفوه في الجامع الأبيض برملة لدّ في صلاة الظهر، وأخبر الخادم أنه دائماً يصلّي الظهر عندهم.

وكانت مدة صحبتي له عشر سنين، فكأنها كانت ساعة، وله كلام نفيس، رقمنا غالبه في كتابنا المسمّى بـ«الجواهر والدرر»[١]، كل جواب منه يعجز عنه فحول

(١) وهذه الجواهر ثلاثة أحجام: (كبرى، ووسطى، وصغرى) وقد شرفني الله تعالى بتحقيقه، وهو في طريقه إلى النشر في دار التقوى بدمشق.

العلماء، حتى تعجب من كتب عليه من العلماء، كسيّدي الشيخ شهاب الدين الفتوحي الحنبلي، وسيدي الشيخ شهاب الدين بن الشَّلبي الحنفي، وسيدي الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي، والشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي، وغيرهم.

وقال الشيخ شهاب الدين الفتوحي: لي سبعون سنة أخدم العلم، فما أظنُّ قط أنه خطر على بالي لا السؤال ولا الجواب من هذا الكتاب، يعني «الجواهر والدرر».

وكان له جبة واحدة، وشاش صغير على زنط، يغسل العمامة والجبة في السَّنة مرة واحدة بالملح ويقول: نوفّر الصابون لغيرنا من الفقراء.

وكان إذا اشتهت نفسه الدسم أخذ عظم الأذناب من قاعة العظام وصلقها، ثم قطف الدّهن وكبَّ ماءها، ثم طبخ به القمح أو الرز. هذا كان لحمه، ويقول: الأذناب لا تصيبها العيون، ولا أحد ينظر إليها.

وكان يقول: لا يُسَمَّىٰ عالماً[١] عندنا إلا من كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر، بأن يكون خضري[٢] المقام، وأما غير هذا فإنما هو حاكٍ لعلم غيره فقط، فله أجر من حمل العلم حتى أدّاه، لا أجر العالم، والله لا يضيع أجر المحسنين. ثم قال: من أراد أن يعرف مرتبته في العلم يقيناً لا شكّ فيه فليرد كل قول حفظه إلى قائله، وينظر بعد ذلك إلى علمه، فما وجده معه فهو علمه، وأظن أن لا يبقى معه إلا شيء يسير لا يسمى به عالماً.

وكان يقول: لا يصير الرجل عندنا معدوداً من أهل الطريق إلا إن كان عالماً بالشريعة المطهرة مُجملها ومبيّنها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامها، ومن جهل حكماً واحداً منها سقط عن درجة الرجال. فقلت له: إن غالب مسلكي هذا الزمان على هذا ساقطون عن درجة الرجال؟! فقال: نعم، إن هؤلاء يرشدون الناس إلى بعض أمور دينهم، وأما المسلك فهو من لو انفرد في جميع الوجود لكفى الناس كلهم من العلم في سائر ما يطلبونه.

---

(١) أي لا يسمى عالمٌ عندنا عالماً.

(٢) أي نسبة إلى سيدنا الخضر عليه السلام.

وكان يقول في معنى قول الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، حين رأى ربَّ العزّة ـ جل جلاله ـ في منامه، فقال: يا رب بمَ يتقرّبُ إليك المتقرّبون؟ قال: يا أحمد بتلاوة كلامي، قال: يا رب بفهم أم بغير فهم؟ قال: يا أحمد بفهم وبغير فهم. المراد بفهم: ما يتعلق بعلماء الشريعة، وبغير فهم: ما يتعلق بعلماء الحقيقة، فإن العلماء ما لهم آلة لفهم كلام الله تعالى إلا بالفكر والنظر، وأما العارفون فطريقهم إلى فهمه الكشف والتعريف الإلهي، وذلك لا يحتاج إلى تفهم. فقيل له: فما تقول فيمن يقرؤه من العوام من غير فهم؟ فقال: قد صحّ أن له بكل حرفٍ عشر حسنات. فتحت قوله: وبغير فهم مسألتان. والله أعلم...

وكان يقول في قولهم: بئس الفقير بباب الأمير: هذا في حقّ من يأتي الأمير يسأله الدنيا، فإن كان لشفاعة ونحوها، فنعم الفقير بباب الأمير...

وسئل عن المراد بالسِّرِّ الّذي وقر في صدر أبي بكر؟ فقال: هو عدم وقوفه مع الوسائط، فكان مع الله عز وجل. وكان يرى محمداً ﷺ طريقاً يجري له الخير منها، كحكم المريد مع شيخه إذا كمل حال المريد، وقد ظهر ذلك السِّر يوم موته ﷺ، فإنه ثبت وخطب الناس وحضهم ولم يظهر عليه تأثير، كما وقع لعمر رضي الله عنه ولغيره من الصحابة...

وكان يقول: آفة العقل الحذر، وآفة الإيمان الإنكار، وآفة الإسلام العلل، وآفة العمل الملل، وآفة العلم النفس، وآفة الحال الأمن، وآفة العارف الظهور، وآفة الملك الجور، وآفة المحبة الشهوة، وآفة التواضع المذلّة، وآفة الصبر الشكوى، وآفة التسليم التفريط، وآفة الغنى الطمع، وآفة العزِّ البطر، وآفة الكرم السرف الزائد، وآفة البطالة الفقر، وآفة الكشف التكلم، وآفة الاتباع التأويل، وآفة الأدب التفسير، وآفة الصحبة المنازعة، وآفة الفهم الجدال، وآفة المريد التسلل على المقامات، وآفة الانتفاع التسلّق، وآفة الفتح الالتفات، وآفة الفقيه الكشف، وآفة المسلّك الوهم، وآفة الدنيا شدّة الطلب، وآفة الآخرة الإعراض، وآفة الكرامات الاستدراج، وآفة الداعي إلى الله تعالى الميل إلى الرياسة، وآفة الظلم الانتشار، وآفة العدل الانتقام، وآفة التقيد الوسوسة، وآفة الإطلاق الخروج عن الحدود، وآفة الحديث النقض...

وكان يقول: إذا كمل توحيد العبد لا يصح له أن يرأس على احد من المخلوقين، لأنه يرى الوجود لله.

وكان يقول: من كمال الرجل أن يحسن إلى أعدائه وهم لا يشعرون تخلّقاً بأخلاق الله عز وجل، فإنه تعالى دائم الإحسان إلى من سماهم أعداءه.

وكان يقول: من صحَّ توحيده لله عز وجلّ انتفى عنه الرياء والإعجاب، وسائر الدعاوى المضلة عن طريق الهدى، وذلك لأنه يشهد جميع الأفعال والصفات أنها ليست له وإنما هي لله وحده، ولا يعجب أحد قط بعمل غيره ولا يتزيّن به...

وكان يقول: لا يصحب كمال الإسلام اعتراضٌ، ولا يصحب كمالَ الإيمان تأويلٌ، ولا يصحب الإنسان سوءُ أدب، ولا يصحب المعرفة همّة، ولا يصحب الإخلاصَ في العمل لذّة، ولا يصحب العلمَ جهلٌ...

وكان يقول: الطلب لا يتعلق إلا بمعدوم...

وكان يقول: الإيمان محلّه الدنيا، والولاية محلّها الآخرة...

وسمعته يقول: من طلب دليلاً واحداً على الوحدانية كان الحمار أعرف منه بالله...

وكان يقول: بقدر غفلتك عنه هنا يطول حضورك معه هناك، إلا أنه حضور حساب لا حضور عتاب...

وكان يقول: العلوم الإلهية لا تنزل إلا في الأوعية الفارغة، ثم أنشد لبعضهم:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكّنا

وكان يقول: العارفون يعرفون بالأبصار ما تعرفه الناس بالبصائر، ويعرفون بالبصائر ما لا يدركه أحد غيرهم، ومع ذلك لهم لا يأمنون على نفوسهم من نفوسهم...

وكان يقول: إذا لم تقدر على العدل بين النساء مع نقصهنّ، فكيف تقدر على العدل بين الرجال مع كمالهم....

وكان يقول: العلم والمعرفة والإدراك والفهم والتمييز من أوصاف العقل، والسمع والبصر والحاسة والذوق والشم والشهوة والغضب من أوصاف النفس، والتذكّر والمحبة والتسليم والانقياد والصبر من أوصاف الروح. والفطرة والإيمان والسعادة والنور والهدى واليقين من أوصاف السّر. والعقل والنفس والروح والسّر المجموع أوصاف للمعنى المسمى بالإنسان، وهي حقيقة واحدة غير متميّزة، وهذه الحقيقة وأوصافها روح هذا القالب المتحرك المتميّز، والجميع روح صورة هذا القالب، والمجموع من الجميع روح الجميع العالم.

قلت: وهذا كلام ما سمعته قط من عارف، ولا رأيته مسطوراً في كتاب، وهو دليل على علوّ مقام شيخنا - رضي الله عنه - في المعرفة. انتهى كلام الشعراني.

وأقول[1]: ولد الشيخ علي الخواص البرلّسي عام (٨٧٦هـ) في برلّس المصريّة، ونشأ فيها في بيئة وأسرة متواضعة فقيرة.

التقى إبّان فتوّته وشبابه قبل وبعد إتيانه القاهرة عدداً من كبار العلم والطريق منهم: علي بن جمال النبتيتي، وأبو العباس الغمري، ومحمد بن عنان، ومحمد المنيّر، وأبو بكر الحديدي، ومحمد العدل، وعلي المحلّي، وعلي الجبرتي، وعبد الوهاب الشعراني، وإبراهيم المتبولي...

وكان أكثر انتفاعاً بالشيخ إبراهيم المتبولي الذي كان يوجهه في أمور دينه ودنياه.

كان الخواص في بداياته يبيع الجمّيز والصابون والعجوة وما يسّر الله، طوّافاً في بركة الحاج وسواها من القرى المجاورة. فوجّهه شيخه المتبولي بأن يفتح دكان زياتة لبيع الزيت، ففعل ذلك نحو /٤٠/ سنة، ثم ترك هذه المهنة واحترف التقفيف بالخوص، وظل بها إلى أن مات سنة (٨٣٩هـ).

وكان يملك من الأخلاق الكريمة الفاضلة ما قلّما توجد في سواه مجتمعةً، فكان صادقاً مخلصاً صابراً متوكلاً، متواضعاً زاهداً تقيّاً تواباً مستقيماً شجاعاً شهماً

---

(١) راجع تقديمنا على كتاب «الجواهر والدرر الكبرى» فقد أتينا بترجمة غير مختصرة عن حياة الشيخ علي الخواص رحمه الله تعالى، ط دار التقوى بدمشق.

جواداً سخَاءً رحيماً محباً متفكراً، ذا فتوح كبير، لسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصلاة على النبي ﷺ، وكانت أوراده بها كثيرة، يشرع بها منذ أن يستيقظ سحراً إلى أن ينام بعد العشاء، حتى إبان عمله كان منشغلاً بها.

وكان وليّاً من أولياء الله تعالى معترفاً له بهذا الأمر من قبل كبار العلماء والعارفين، وكان صاحب كرامات كثيرة ذكرنا طائفة منها في صدر ترجمته.

رحمه الله تعالى رحمةً عامّةً طامّة وحشرنا وإياه تحت لواء سيدنا محمد ﷺ[1].

* * *

(١) انظر «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/ ١٥٠-١٦٩ رقم ٦٣)، و«شذرات الذهب» (٨/ ٢٣٣-٢٣٤)، و«الكواكب السائرة» للغزي (٢/ ٢٢٠-٢٢١)، و«جامع كرامات الأولياء» للنبهاني (٢/ ٣٧١-٣٧٣-)، وصدر كتاب «الجواهر والدرر»، ط دار التقوى بتحقيقي.

ترجمة الإمام الشعراني

هو جامع هذا الكتاب (درر الغوّاص) وصاحب الكتب الكثيرة والشهيرة والمفيدة.

وقد لا يخلو كتابٌ من تأليفه ـ أُخْرِجَ حديثاً ـ إلا وتصدرته ترجمة له مختصرة أو موسّعة، وفي الحالتين لا تعدو عن ذكر ولادته ووفاته، ونشأته ومؤلفاته، وشيوخه وتلامذته، وذكر شيء من المديح له والثناء عليه، بأنه العالم العلامة البحر المحيط الفهامة وغير ذلك.

أما أن نجد في ترجمته سَبْراً لأغوار هذا الجبل الأشم، وما حوى هذا الجبل من كنوز ضخمة، فأمر نادر جداً، إن لم يكن مفتقداً. فما الذي أريد أن أقوله؟.

سأقول في هذه الصفحات بعضاً مما اكتشفته بنفسي من خلال آثاره، ما أظنُّ أحداً من الباحثين قد عرَّج عليها، فهو بالإضافة إلى أنه عالم ضليع في علومِ الإسلام:

١- رجل تربية فريد:

لأني رأيته ينظر نظرة شاملة ومتكاملة إلى المشكلات جميعها، فيرسم سياسة تعليمية وتربوية في كامل صورتها رسماً واضحاً مستنداً إلى إحاطة شاملة بسائر الأوضاع المحيطة بالمجتمع الذي يعيش فيه، ولا يفوته الشرح عن أدوات التنمية ووسائلها الأساسية. وخذ على ذلك مثالاً ثلاثة كتب فاطلع على جزء من كلّ منها واحكم:

كتاب «المنن الكبرى»، وكتاب «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية»، وكتاب «تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر».

إنك - أخي القارىء - لتجد الإمام الشعراني قد وضع خطّة تربوية تحمل القارىء إلى الغايات المحددة والواضحة، وملّك القارىء وسائل مرسومة توصل

المعتني إلى تلك الغايات، مع إبراز ما أراد من أهداف معينة. طبعاً قد تكون هذه الخطة سيقت عفوياً غير مقصودة، وقد تكون مقصودة غير أن الشيخ لحضور هذا أساس عنده شغله عن البيان بأنها مقصودة أو غير مقصودة.

ولكن قد يسأل - من يعنى بمسألة التربية - هل تخطيطه كان شاملاً كاملاً؟ أعني اقتصادياً واجتماعياً؟ لأن التربويين يعنون بالمتكامل الشامل: الاقتصاد والاجتماع.

أجيب السائل: بما أن العنصر الهام في أيّ خطّة هو العنصر البشري، وهو الأثمن من بين رؤوس الأموال، فإن تخطيطه نعم جاء متكاملاً وشاملاً، وكاد أن لا يكون له عناية إلا بالعنصر البشري... ثم بداهة نقول: ألم يأت الدّين رأساً لخدمة العنصر البشري؟ نعم. فجاء ورسم اجتماعياً واقتصادياً ما يصلحه. فكانت جهود الشعراني كلها في كتبه منصبّة على هذا الجانب، ولقارىء كتبه أن يقرّ بذلك أو لا يقرّ...

٢- فيلسوف من نوع خاص:

قد تسعفني في تأييد فكرتي هذه عن الإمام الشعراني مقولة فرانسيس بيكون(١): «إنّ قليلاً من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد، أما التعمّق في الفلسفة فيرده إلى الدين».

وإذا كانت كلمة الفيلسوف مشتقة من الفلسفة، ومعناه: المؤثر للحكمة أو محبّ الحكمة، وهذا الوصف لا يستحقه إلا من جعل وسعه وطاقته مبذولين لتحقيقها أي الحكمة، أفلم يوقف الشعراني حياته كلها وعمره كاملاً في تحقيق الحكمة، سواء وصفت حكمته بالدينية أو الصوفية أو العلمية؟ أم لم توصف.

ولقد ورد عن إخوان الصّفا أنهم قالوا: «الفلسفة أولها محبّة العلوم، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم»(٢). فانظر هل هذه المقولة تنطبق على شيخنا الشعراني؟.

---

(١) هو فيلسوف بريطاني، ولد (١٥٦١م) ومات (١٦٢٦م)، عرف بخصوبة ذكائه وتعرض لمحن كثيرة، له كتاب «الطريقة الجديدة»، يقول فيه: إن علينا قبل أن نبحث عن الحقيقة أن نحطم عدداً من الأوهام أو المغالطات [أعلام الفكر الأوروبي ١/ ٨٩].

(٢) انظر كتاب «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلاميّة» للشيخ مصطفى عبد الرازق، (ص ٥).

وإذا قال فيثاغورث: «الحكمة لله وحده، وإنما للإنسان أن يجدّ ليعرف، وفي استطاعته أن يكون محبّاً للحكمة، توّاقاً إلى المعرفة، باحثاً عن الحقيقة»[١]، أفلا يجوز لنا أن نقول: وهكذا الشعراني كان؟.

ولكن لماذا قلت: فيلسوف من نوع خاص؟ نعم لأني لم أره، وهو في الحقيقة كذلك: (لا ينكر كلّ ما ليس بماديٍّ) كما أنه لم يكن مثل الفلاسفة الذين لا يعترفون إلا بما يقع تحت حسّهم وهم الماديون. . .

وهذه آثاره تشهد له، فانظر هل ترى فيها ما يدلّ على عجز عنده منعه من تسنّم المجد في أعلى قممه؟.

٣- عالم نفس حاذق:

علم النفس يدرس قواعد السّلوك البيولوجية، والنمو السلوكي، ويسلّط الأضواء على المشكلات التربوية والمهنية والاجتماعية. ويطمح هذا العلم إلى أن يفهم الإنسان كل الإنسان. وكان قد عرّفهُ وليم جيمس[٢] فقال: «علم الحياة الذهنية وظاهراتها وشروطها».

وإذا كنتَ قد أنعمتَ النظر في كتابات الشعراني، تجد فيها أنه ذو ملاحظات منظمة وذات غرض، وأنها - أي ملاحظاته - قد تخلّت عن الصفة الشخصية حين نشد الوصول إلى عين الحقيقة، وهو يعيد ملاحظات الآخرين ليمررها بصفاته الخاصة به ليبرهن على صحة النتائج.

فهذه كفيلة بأن ينسب إليه أنه عالم نفس، لأن نتاجه اقتدر على أن يكون علماً، سيما وأن آفاقه اتسعت جداً عنده، إذِ اشتملت أبحاثه على تحليل الشعور، وانصرف اهتمامه أولاً إلى السلوك التجريبي، ولعل كل ما طرحه في كتبه من هذا القبيل.

وآتيك بمثال، كان ذكره في «الجواهر والدرر» وفي الفتاوىٰ وفي غيرهما. هو أن نرأف بالمجاذيب، وهم الذين يسمون علمياً مرضى نفسيين وعامياً مجانين، وأن نتعامل معهم بحكمة بالغة، وهذا ما ذهب إليه «بينل» الذي يعتبر أبا الطب النفسي الحديث.

---

(١) «التفكير الفلسفي الإسلامي» للدكتور سليمان دينا، (ص ١٦).

(٢) فيلسوف أمريكي، توفي سنة (١٨٩٠م).

يا أخي لا أريد أن ألبس الشعراني قفطاناً فضفاضاً، بل أردت أن أكشف ولو بلمحات سريعة عن منزلةٍ هي أرقى ما يُتَخيَّلُ كان قد تبوّأها الشعراني رحمه الله تعالى.

هذا وأظنني بعد ذكر ثلاثة من الأفكار عن الإمام الشعراني لم يسبق أن حُكِيَتْ عنه.. إذا لخّصتُ حياته ببضع صفحات قد تجد نكهة ولذّة لهذه الحياة ربما لم تلتذ بها من قبل، فأقول:

ينسب الشعراني إلى قبيلة بني زُغلة من عرب المغرب الأوسط، وهذه القبيلة يتصل نسبها بسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن طريق ولده محمد بن الحنفيّة. وكان كثيراً ما يقول عنه الشعراني: جدنا الأول محمد بن الحنفية..

وكان أحد رجال سلسلة أصوله هو أبو عبد الله أحمد سلطان تلمسان، الذي ولد له موسى أبو العمران، وهذا قد تصوّف وآثر الطريق الصوفي على كرسي السلطان كإبراهيم بن أدهم، وسلك الطريق على يد الشيخ أبي مدين شعيب المغربي، وحينها أمره أن يسافر إلى صعيد مصر ويدعو إلى الله من سكن الصعيد. وجاء فعلاً فأقام في الصعيد داعياً إلى الله إلى أن توفي سنة (٧٠٧هـ).

وهاجر حفيد السلطان إلى ساقية أبي شعرة، وهي قرية تقع في المنوفية قرب النيل. وصار يسلّك الناس فيها رغم أمّيته إلى أن توفي سنة (٨٢٨هـ).

وولد من هذه الشجرة المباركة أحمد والد عبد الوهاب الذي كان عالماً، ورحل إلى مصر فأخذ عن الجلال السيوطي، وصارت بينهما علاقة طيبة متينة، فطلب الشيخ أحمد من الجلال أن يجيز ابنه عبد الوهاب، ففعل وأجازه بكافة مروياته وهو في العاشرة من عمره، وألبسه الخرقة في بلدة تدعى روضة المقياس في القاهرة. ومات الشيخ أحمد سنة (٩٠٧هـ) وكان عبد الوهاب بعد صغيراً فكفله أخوه عبد القادر المعروف بتصوّفه وورعه.

وكانت ولادة الشعراني سنة (٨٩٨هـ) في قلقشندة، وهي قرية كان يسكنها جدّه لأمه، ثم انتقل بعد الولادة بـ (٤٠) يوماً إلى قرية أبيه ساقية أبي شعره، ونسب إليها.

ومنها غادر إلى القاهرة عام (٩١١هـ) فطلب علوماً من علمائها في الأزهر

الشريف، فأخذ عن علي الشوني خمس سنوات، ومن الأزهر انتقل إلى الجامع الغمري سنة (٩١٩هـ) وفيه أقام (١٧) سنة يطلب العلم، ومنه إلى مدرسة أم خوند، وفيها درس ودرّس فطارت شهرته، وكان من مشايخه الأفاضل: جلال الدين السيوطي، وزكريا الأنصاري، وناصر الدين اللقاني، والسمنودي، والرملي.

وكان قد حفظ القرآن وهو ابن سبع، وصار يقوم الليل ويختم القرآن كله في ركعتين.

ولقد حصل من العلوم وبرع فيها: التصوف، والفقه، والتفسير، والحديث والسّير واللغة والنحو، والأصول. ولقد ألف فيها أسفاراً.

ولما ذاع صيته واشتهرت بين الناس مكانته العالية؛ كان من آثار ذلك أن المولى محيي الدين الأرزيكي بنى له زاوية ووقف عليها عقارات كثيرة أرزاقها، وتحولت الزاوية إلى معهد ضخم لتدريس العلوم، ومسجد لإقامة الصلوات، ورباط للزاهدين، ولقد أمّها الآلاف.

وله من المؤلفات المئات على قول بعض من ترجم له أذكر منها:

١- الأخلاق الزكية والعلوم اللدنيّة.

٢- أدب المريد الصادق مع من يريد الخالق.

٣- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين، وكان لنا عليه شغل، طبع في دار التقوى بدمشق.

٤- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، طبع في دار التقوى.

٥- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية.

٦- البحر المورود في المواثيق والعهود أو العهود الصغرى.

٧- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير.

٨- بهجة النفوس والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق.

٩- تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء.

١٠- تنبيه المغترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر.

١١- الجواهر والدرر الكبرى، كتاب كانت لنا به عناية وسيصدر قريباً، صدر عن دار التقوى بدمشق.

١٢- الجوهر المصون في علم كتاب الله المكنون.

١٣- الدر المنظوم في زهد العلوم.

١٤- درر الغوّاص على فتاوى الشيخ علي الخواص وهو الذي بين أيدينا.

١٥- الدرر المنثورة في بيان العلوم المشهورة.

١٦- الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع.

١٧- شرح جمع الجوامع للسبكي.

١٨- الطبقات (كبرى، وصغرى، ووسطى).

١٩- العقيدة الشعرانية.

٢٠- الفتح المبين في ذكر أسرار الدين.

٢١- فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب.

٢٢- فرائد القلائد في علم العقائد.

٢٣- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر.

٢٤- كشف الغمة عن جميع الأمة، طبع في دار التقوى بمجلدين.

٢٥- لباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب.

٢٦- لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعم الله تعالى على الإطلاق (المنن الكبرى). طبع في دار التقوى بدمشق.

٢٧- المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر.

٢٨- مختصر الألفيّة لابن مالك في النحو.

٢٩- مختصر تذكرة القرطبي. وهو في علوم الآخرة.

٣٠- مختصر الخصائص النبوية للسيوطي. وهو في الشمائل النبوية.

٣١- مختصر السنن للبيهقي.

٣٢- مختصر القواعد الفقهية للزركشي.

٣٣- مختصر المدونة في الفروع المالكية.

٣٤- مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية.

٣٥- المقدمة النحوية في علم العربية.

٣٦- الموازين الذرية المبينة لعقائد الفرق العلية. ونزمع على تحقيقه ونشره إن شاء الله.

٣٧- الميزان الكبرى في الفقه المقارن لا تنزل قيمته عن الإفصاح لابن هبيرة.

٣٨- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.

وغيرها من الكتب القيمة.

وتوفي الشيخ رحمه الله تعالى في (١٢) جمادى الأولى سنة (٩٧٣هـ)، ودفن بجوار زاويته بعد أن صلّي عليه في الجامع الأزهر، وكان قد احتشد في جنازته عدد كبير جداً من مختلف الناس أمراء وفقراء وقضاة وتجار وطلاب.. وجاء الأمير حسن بك سنجك فبنى له قبراً ورخّمه حبّاً بالشيخ الشعراني الذي اتخذه شيخاً له وموجهاً بعد أن تخلّى عن الإمارة وزهد في الدنيا ورضي بأن يبرك مريداً صادقاً تجاه شيخه الشعراني. رحم الله الشعراني وحشرنا وإياه في زمرة الصالحين تحت لواء سيد المرسلين.

ولتعلم يا أخي أن الله تبارك وتعالى قد منَّ على أمّتنا الإسلامية برجال عُدِمَ نظيرهم في الأمم الأخرى، وهم مفخرة الأمة طول الدّهر، وهذا الإمام العظيم أحدهم، ولا تلتفت إلى من يقلل من قدره وقدر أمثاله، فهؤلاء المقلّلون يعبثون، وما ذلك إلا لأنهم لا يعقلون، أجل لأنهم لا يفقهون... ولله في خلقه شؤون.

* * *

هذه الفتاوى

هي ليست فتاوى بالمعنى الدقيق، تشبه الفتاوى من حيث السؤال والجواب وكونها في الدّين، لكنها ليست سؤالاً فقهياً وجواباً عليه من أبواب الفقه، إنما هو جواب بلسان الفقيه بالدين والمتبصر بسائر علومه، وحينما كنت أقرأ فيها وأطّلع على أجوبة الشيخ الخواص، كان يتملكني شعورٌ بأن الشيخ لم يكن ليجيب إلا عن فتوح من الله كبيرا.

ولقد شبّهته بمن يجلس تحت عريشةٍ ثمارها دانية، ويأتيه منْ يطلب منه: أعطني قطفاً فجّاً أو ناضجاً أو.. فلا يتكلف سوى أن يرفع يده ويقطف ويناول السائل.

وإن هذه المجموعة من الأسئلة لا تختلف عن الجواهر والدّرر إلا أنها مختصرة من ناحية الحجم، وهي أقرب للفروع الفقهية منها إلى العلوم الأخرى، وإن طغى عليها اللون الصّوفي المحبب على قلوب معاشر الصوفية الكرام..

ولقد تبيّن لي من خلال هذه الفتاوى أن الشيخ الشعراني رحمه الله تعالى كان كثير القراءة بكتب القوم الذين سبقوه مثل الشيخ محيي الدين بن عربي، وحجة الإسلام الغزالي، والقشيري والسراج الطوسي، والحارث المحاسبي.. لأنه كثيراً ما كان يعقب على ما يسمعه من الشيخ الخواص بقوله: لقد قال شبيه هذا الكلام فلان.. أو إذا سكت الشيخ عن الإطناب زاده الشعراني بما يضيء المسألة أكثر، فكان يعجب الخواص أن يسمع مثل هذا الكلام.

ولولا أن هذا الكتاب عنونه الشعراني بقوله: «درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص» لقلت هو منتخب من كتاب «الجواهر والدرر»، لوحدة الموضوع وتشابه بعض المسائل..

ولقد بلغ عدد مسائلها (١٤١) مسألةً، كنت قد رقمتها بقصد الحصر، ولتسهيل العزوْ إليها، أو الرجوع إليها، وجعلت لكل فتوى عنواناً إمعاناً في الإفادة.

وقد ألحق الشيخ الشعراني بهذه الفتاوى بعض الإجابات التي سمعها من أخيه الشيخ أفضل الدّين، وهي كما رأيتها ذات أهمية وشأن لا تقل قيمة عن فتاوى الخوّاص. وقد نعتها الشعراني بقوله: (.. هذا ما نقلته من خط أخي العارف بالله تعالى الشيخ أفضل الدين الأحمدي - رضي الله عنه - وهو لسان غريب مفرد ببلوغه مقام العرفان، وأظنُّ أن غالب مشايخ العصر لا يصلح أن يكون تلميذاً له، لأن شرط التلميذ أن يفهم كلام شيخه، وما أعرف الآن أحداً منهم يفهم هذا الكلام، فرحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا عليه في دار كرامته آمين).

ولنعلم إن النسخة «أ» أغفلت هذه الزيادة فأتت بها النسختان: «ب»، «ط».

والحمد لله رب العالمين.

* * *

منهج التحقيق

وقع بين يدي عن هذا الكتاب النفيس (درر الخواص) نسختان مخطوطتان محفوظتان في المكتبة الظاهرية بدمشق سابقاً وهما حسب الأفضلية عندي:

الأولى: محفوظة تحت رقم (٥٤٠٩) تصوف مطلعها: «اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً. الحمد لله رب العالمين على كل حال. وبعد فهذه نبذة صالحة من فتاوى شيخنا علي الخواص...».

وأما خاتمتها: «.. والموافقة، وطمأنينة النفس والسكون تحت الأقدار حتى ينكشف، انتهى. ورأيت نحو هذا التقسيم في كتاب فتوح الغيب لسيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه. والله تعالى أعلم...».

وهذه النسخة كاملة لا نقص فيها ولا خرم ولا طمس، مكتوبة بخط فارسي جميل جداً بحبر أسود، وبعض كلماتها بالحبر الأحمر، عدد ورقاتها (٤٨) ورقة، في كل صفحة (١٧) سطراً، بقياس (٢٤×١٨) سم، وكلمات السطر (١١) كلمة، هامشها (٦,٥سم).

واسم ناسخها: فتح الله البخاري الكاشغري القسبولي، وتاريخ النسخ في (١٤) رجب سنة (١٢٩٢هـ).

وكانت هذه النسخة الأصل في عملي لما توفر فيها من الميزات المذكورة. ورمزت لها بـ(أ).

الثانية: محفوظة تحت رقم (٥٤٨٩) مطلعها وخاتمتها كالأولى مع اختلاف يسير وزيادة قليلة في آخرها.

وهي بخط نسخ عادي بحبر أسود، وبعض كلماتها بالأحمر. عدد ورقاتها (٦٥ق). ناسخها: محيي الدين بن سعيد الحبشي، تاريخ النسخ سنة (١٢٩٥هـ). عليها بعض المراجعات والتصحيحات. لكنها لم تكن بجودة الأولى، ففيها بعض السقط والطمس والتقديم والتأخير. ورمزت لها بالحرف (ب). والعنوان الذي أثبت على دفتها الأولى: (درة الغوّاص على فتاوى علي الخوّاص) درّة بالإفراد.

الثالثة: مطبوعة في المكتبة الأزهرية للتراث، خلف الجامع الأزهر الشريف سنة (١٤١٨هـ)، ومودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٦٧١) سنة (١٩٩٨م). وهي لم تكن مخدومة من حيث دقة النص وتصحيحه، ومراعاة فواصله وإشارات ترقيمه. هي - مع شكرنا لناشرها - مأخوذة عن نسخة مخطوطة - على ما يبدو - دون مقابلة مع أخرى، ففقدت الجودة المرجوة والنص الكامل الذي يطمئن إليه. ومع هذه الملاحظات التي هي من الأهمية بمكان فإننا استأنسنا بها وعوّلنا عليها في بعض المواطن. ورمزت لها بالحرف (ط).

ولقد اجتهدت وسعي في إخراج النص متكاملاً لا يشتكي منه نقص ولا خلل، وزدته فائدة بأن خرّجت آياته وأحاديثه، وشرحت غوامضه وفسّرت مفرداته، وأصلت الجانب الفائت منه بما فتح الله به عليّ.

فهذا جهد المقل، فإن أحسنت فبفضل وبتوفيق من الله وحده، وإن أسأت فمني أنا العاجز الضعيف المتأثر بوسواس الشيطان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ليلة الجمعة المباركة (٣٠) رجب الفرد (١٤٣٢هـ)

الدكتور سليم شبعانية

• • •

٥٠٩

كتاب

درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص

رضي الله عنه

ألفه

الشيخ عبد الوهاب الشعراني

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

[illegible] والصلوة والتسليم على سيدنا محمد
[illegible] ورضي الله عن التابعين لهم باحسان
[illegible] ومن شيخنا وقدوتنا الى الله تعالى
[illegible] على الخوص اعادها الله علينا وعلى
[illegible] في الدنيا والآخرة
[illegible] عن معنى بعضها الموفق رضي الله عنه
[illegible] بلسان السرياني تارة والعربي
[illegible] ذوقا ذكرت جوابه بلفظ
[illegible] القرآن العظيم ثم اخبر
[illegible] كل الاوليا والكمل لا يسترون [illegible]
[illegible] التحيز في معنى [illegible]
[illegible] يرون في الوجود شيا الا الباطن
[illegible] ارباب الاحوال والمقامات الذين
[illegible] بين حقيقتي الاسم الظاهر
[illegible] فانهم يعلمون ان المسمى بالباطن

ولعل من اشترط ذلك كان شرنبلانيا متعصب لنفسه والله اعلم

عن علامة كون البلا عقوبة علامة عدم الصبر وكثرة الجزع

والشكوى الى الخلق فقلت له فما علامة كون البلا تمحيصا للذنوب فقال

علامته وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولا جزع ولا ضجر باداء الطاعات

فقلت له فما علامة كونه رفع درجات فقال علامة ذلك وجود الرضى

والموافقة وطمانينة النفس والسكون تحت الاقدار حتى ينكشف انتهى

ورايت نحو هذا التقسيم في كتاب فتوح الغيب لسيدي

عبد القادر الجيلي رضي الله عنه والله تعالى اعلم ولكن ذلك آخر

ما غصنا عليه من دررنا وي شيخنا سيدي علي الخواص رضي الله عنه

قال مؤلفه وكتبه عبد الوهاب ابن احمد ابن علي الشعراوي الشافعي

خادم الفقرا عفى الله عنه في سابع عشر رجب الفرد الحرام سنه

خمس وخمسين وتسعمايه حامدا مصليا مسلما

تم ١٢٩٢ الحمد لله
١٤ رجب

بيد فتح الله البخاري الكاشغري القمبولي تغمده الله بغفرانه

كتاب درة الغواص على فتاوى
سيدي علي البرلسي الخواص

تأليف

القطب الاوحد والعارف بالصمد
سيدي الشيخ الرباني ابي المواهب
عبد الوهاب بن احمد الشعراني الشافعي
قدس الله سره

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لا سهل إلا ما جعلته

سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا

الحمد لله رب العالمين على كل حال وبعد فهذه نبذة
صالحة من فتاوى شيخنا علي الخواص أعاد الله
علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه ومدده
في الدنيا والآخرة التي سألته عنها مدة صحبتي له مت
رجما عن معنى بعضها لكونه رضي الله عنه كان أميا
لا يقرأ ولا يكتب فلسانه يشبه لسان السرياني
تارة والعربي تارة فإذا علمت أن الجواب ليس لي إلا ذو
قد ذكرت جوابه بلفظه من غير شرح لمعناه نظير
الحروف أول سور القرآن العظيم ثم لا يخفى أن الشيخ كان ال

كمل

هذا ما نقلته من خط أخي العارف بالله الشيخ
أفضل الدين الأحمدي وهو لسان غريب مفرد
ببلوغه مقام العرفان ببلوغه مقام العرفان وأظن
أن غالب مشائخ العصر لا ينبغي أن يكون تلميذا له
للاسترشاد أن يفهم كلامه والحمد لله رب العالمين
كتبته في سابع رجب سنة خمس وخمسين
وتسعمائة حامدا مصليا مسلما وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم

قيده بقلمه وكتبه راجي رحمة ربه وبره
الفقير إلى رحمته وكتبه
محيي الدين بن النقيب
الحنبلي

[illegible]

درر الغواص

على

فتاوى سيدي علي الخواص

تأليف

الإمام عبد الوهاب الشعراني

المتوفى سنة

٩٧٣هـ

رحمه الله تعالى

دار [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)[١]

[مقدمة المؤلف]

(اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً)[٢]

الحمد لله رب العالمين على كل حال.

والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل، ورضي الله عن التابعين لهم بإحسان.

وبعد:

فهذه نبذة صالحة من فتاوى شيخنا وقدوتنا ولي[٣] الله تعالى الكامل الراسخ الأمي المحمدي سيدي علي الخواص؛ أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه ومدده[٤] في الدنيا والآخرة، التي سألته عنها مدة صحبتي له مترجماً عن معنى بعضها لكونه رضي الله عنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فلسانه يشبه لسان السرياني تارة، والعبري تارة، فإذا علمت أن الجواب لا يدرك إلا ذوقاً ذكرت جوابه بلفظه من غير شرح لمعناه نظير الحروف أول سور القرآن العظيم.

ثم لا يخفى أن الشيخ رضي الله عنه كان من [ب١/أ] كمّل الأولياء، والكمل لا يسترون لهم قولاً، لأن رتبتهم تقتضي الإطلاق والسراح، وعدم التحيّز[٥] في معنى دون آخر كما عليه المقلدون، فلذلك كان الكمل لا يرون في الوجود شيئاً

---

(١) ما بينهما زيادة في (أ).

(٢) ما بين الهلالين زيادة من (ط).

(٣) في (أ): إلى.

(٤) سقطت من (ب،أ).

(٥) في (ب، ط): التحيّر، بالراء.

محض حيث ظهر الحق تعالى لهذا المظهر التقييدي الذي هو أتم المظاهر، ولا يرون فيه شيئاً له باطن وظاهر أبداً.

فإن هذا المشهد إنما هو من صفة أرباب الأحوال والمقامات الذين يرون الظاهر والباطن كالحجاب هم ماكثون فيه بين حقيقتي الاسم الظاهر والباطن، وهو البرزخ الفاصل بين عالم الغيب والشهادة[١].

وأما الكمل فإنهم يعلمون أن المسمى بالباطن [٢/أ] هو المسمى بالظاهر حال كونه باطناً، ويعلمون أن المسمى بالظاهر (حالة كونه باطناً، ويعلمون أن المسمّى بالظاهر)[٢] هو المسمى بالباطن حال كونه ظاهراً، وكذلك القول في بقية الأسماء، لأنه على مشهد من علم الأسماء والصفات، لا يصح لنا شرحه إلا لأهله، والكتاب يقع في يد أهله وغير أهله.

واعلم يا أخي أنه لا يمكنني استحضار جميع ما سمعته منه من العلوم والمعارف لكثرة نسياني وضعف جناني، فمن سمع من إخواننا شيئاً من أجوبة الشيخ فليكتبه في هذه الرسالة، لكن بلفظ الشيخ خاصة، ولا يتصرف في عبارته، فإنه لا مرقى إلى فهم كلامه إلا من السلم الذي صعد منه الشيخ، وأنّى لأمثالنا ذلك!.

وأسأل الله أن يحفظ لساني وقلبي من الزيغ عن مراده ـ رضي الله عنه ـ إنه سميع مجيب، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [ب١/ب].

وسميتها بـ«درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص».

نفع الله بها مؤلفها وسامعها وكاتبها إنه قريب مجيب، إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق:

---

(١) سقطت (الشهادة) من (أ).

(٢) سقط ما بين القوسين من (ب، ط).

[الخواطر القبيحة]

١- سألت سيدي علياً الخواص رضي الله عنه عن الخواطر القبيحة: هل تقع للخوّاص كما هي واقعة للعوام، أم لا؟.

فقال رضي الله عنه: لا يقع للكمل إلا الخواطر التي تناسب مقامهم، فلا يشاركون العامة في الخواطر التي تطرقهم، لا في المحاسن ولا في القبائح، لارتفاع الكمل عن مشهد العامة، والخواطر تابعة للمشاهد، مع أن العارف الكامل متحقق أيضاً بجميع الأخلاق الإلهية، فإن في حقيقتها[1] ذاتها لعدم التنزيه كان الله ولا شيء [أ٢/ب] معه، وليست كان من الأفعال الماضية، وإنما المراد بها كان الوجودية. وهذه الرتبة هي مطمح شهود القطب، وله النصيب الأتم من مقام العبودية، لأنه منزه من أن ينحصر في وصفٍ دون آخر من حال أو مقام، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ الآية[2].

ثم اعلم أن العارف لما كان مستنداً إلى الذات بحقيقة الإطلاقية، وإلى الصفات بحقيقة التقييدية كان طروء الخواطر[3] والوهم من حقيقة الصفات، لأنها مظنة للكثرة، مفتقرة إلى التميز، وهو لا يكون إلا بالنور المبين لحقائق الأشياء ومراتبها، لأنه آخر مراتب الظهور [ب٢/أ].

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾[4].

﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾[5].

وإيضاح ذلك: أنّ الوجود لما كان ذاتياً للحق عارضاً للخلق افتقرت أعيان الموجودات إلى الذات، إذ هم صفاتها، وبها تعين وصفها بالألوهية، وتعينها بالربوبية، وقد استهلكت حقيقة العارف تلك الأعيان الدالة على ذاتها، فلذلك كان غير العارف يتميز عن العارف بالخواطر التي تناقض مقامه، لارتفاع العارف عن أن

---

(١) في (أ): حقيقة.

(٢) سورة الأحزاب، آية: ١٣ .

(٣) في (ب، أ): الخاطر.

(٤) سورة يس، آية: ٣٧ .

(٥) سورة الإسراء، آية: ١٢ .

يؤثر فيه حال أو مقام، بخلاف غير العارف من أرباب الأحوال أو غيرهم، فإن خواطرهم بحسب أحوالهم [ب٢/ب] ومواطنهم، فإن ورد الخاطر على أحدهم والحق قيوم بقلبه انقلب الخاطر من حقيقة إلى حقيقة تغلبها[١] ذلك الآن ثم تعرج صورة مطلقة غير مدركة لأحد من العالمين.

وإن ورد الخاطر على قلب العبد وهو فارغ [أ ٣/أ] وكان ثم داعٍ كغلبة حالٍ أو سُكرٍ فهو بحسب قوة الداعي وتمكنه وصفاء محله، فإن فقد[٢] التمكين ظهر الخاطر صورة روحانية يعرج الاسم الداعي لظهور أثره في صورة يقتضيها الاستعداد في ذلك الحال إلى حيث استقرار محل الأعمال، وإن ورد الخاطر على القلب وهو مستهلك في حقيقة النفس وأريد الظهور بحسب الداعي ظهرت صورة مخصوصة إما ملكية أو حيوانية، وتعرج[٣] إلى حيث استقرار محل أعمال النفوس، وإن ورد الخاطر والعوالم الإنسانية تحت قهر الشهوة والشيطان ظهرت صورة نارية شيطانية إلى محل استقرارها وهو تحت مقر فلك القمر إلى أن يبدلها[٤] الله بعمل صالح في صورة ملك فتصعد [ب٣/أ].

وبيان ذلك إجمالاً وتفصيلاً أن الخواطر تتلون بلون العامل كتلون الماء بلون الإناء، فإن كان الإناء شفافاً ظهر التلون صورة محسوسة، وإن لم يكن كذلك فلا يرى الماء ولو كان متلوناً بنفسه، فكان هنا دقيقة وهو الإناء سواء كان لطيفاً أو كثيفاً ليس إلا الماء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[٥]، ولما كان الماء فيه قوة التشكل والظهور بكل صورة كان أحدي الذات وأحدي الصفات، وانفعلت[٦] الأشياء منه وهو عنها كما قال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾[٧]. فوصفه بالواحدية، واقتضت حقيقته أن يكون مادة لمجموع العالم، وبعدمه يكون عدمها.

---

(١) في (أ): تقلبها.

(٢) سقطت (فقد) من (ط).

(٣) سقطت (بها) من (ط).

(٤) في (ط): يعدلها.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٣٠ .

(٦) في (أ): فتنقصت الأشياء منه.

(٧) سورة الرعد، آية: ٤ .

فتأمل كيف وصف(١) بالواحدية ثم بالحياة، فما [أ٣/ ب] سبب الحياة حقيقة إلا العلم، وهو مثال نصبه الحق تعالى بلسان الستر لوجوده، وظهور خلقه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٢)، ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾(٣)، أي المسمى بالواحد، وهو إناء نماء(٤) ذات واحد صفات: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ﴾(٥) رب العالمين أنه الحق الواحد المسمى في العدد بالمراتب، فعلم أن الإناء ماء وسعه غيره، بل ليس غيره متمحصاً للغيرية، خلاف ما عليه المتصوفة من أهل هذا الزمان، القائلون ببينونة الحق من عبده [ب٣/ ب] مطلقاً، حتى يجعلونه قائماً بنفسه، فيكون العالم في جهة والحق في جهة، تعالى الله عن التحيز، ومن هنا نبذوا(٦) من خواطرهم، لزعمهم أنها خارجة عن الحق شاغلة لهم عن الحق تعالى، وربما سألوا ربهم أن يرفعها عنهم، بخلاف العارفين، لأن العارف يتلقى كل خاطر قبيح من الحق تعالى، ويبادر إلى تلقيه لكونه حديث عهد(٧) بربه، ولكونه يعلم أن النقص في الخاطر إنما جاء من حيث نقص القوابل عن كمال الاستعداد، ويعلم أيضاً أن الخاطر بمنزلة الرسول المعلم والهادي إلى طريق الله تعالى، كما أشار إلى ذلك سيدي عمر بن الفارض(٨) رضي الله عنه بقوله:

عسى عطفة منكم علىّ بنظرة فقد تعبت بيني وبينكم الرسل

فتأمل ذلك فإنه نفيس والله تعالى أعلم.

---

(١) سقطت (وصف) من (ط).

(٢) سورة الذاريات، آية: ٢١ .

(٣) سورة الذاريات، آية: ٢٢ .

(٤) في (أ): ماءات.

(٥) سورة فصلت، آية: ٥٣ .

(٦) في (أ): نبرّؤوا.

(٧) سقطت من (ط).

(٨) هو الشيخ الشاعر الصوفي الكبير أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل، المصري المولد والدار، عرف بابن الفارض، لأن أباه على ما يظهر كان عالماً فرضياً يتقن علم المواريث وتطبيقاته. وكان ابن الفارض أخاذاً في شعره مؤثراً، قد عني بشعره في المحسنات البديعية من حيث المعنى واللفظ، وقلما خلت قصيدة في ديوانه من الجناس، ولد في (٥٧٦هـ) = (١١٨١م)، وتوفي في (٦٣٢هـ) = (١٢٣٤م)، ودفن في سفح جبل المقطم.

[المراد بالمحو في قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾]

٢- وسألته رضي الله عنه: عن قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾(١) ما المراد بالمحو؟.

فقال: تكوّنٌ او سترٌ، لا أدري أي اللفظين قال، وقد تم لي الجواب بذلك [أ/٤/أ] لأنه راجع إلى الحس، والحس أصدق شاهد.

قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾(٢).

[الناسخ والمنسوخ عند الصوفية]

٣- وسألته رضي الله عنه: عما يقوله العلماء من الناسخ والمنسوخ في الحديث بالتاريخ، هل ذلك مما يرضاه رسول الله ﷺ؟.

فقال رضي الله عنه: كلامهم في ذلك غير لائق برتبة رسول الله ﷺ، لأنه كان يترقى في الزمن الفرد إلى مقامات لا يبلغها الإحصاء، فكل حديث قاله في زمن ما إنما قاله بلسان ذلك المقام الذي هو فيه، ومقاماته ﷺ غير محصورة ولا مدركة لنا، وذلك لسعة إطلاقه عليه الصلاة والسلام وإفاضة الحق عليه، ما يعجز عن حمله جميع الأنبياء والمرسلين [ب/٤/أ].

وانظر إلى أجوبته ﷺ للسائلين، بالأجوبة المتغايرة مع اتحاد الأسئلة، فعلم أن ذلك إنما كان لعلمه باستعداد كل سائل، وما يقبله تخفيفاً وتشديداً، كل ذلك لمصاحبة اسمه تعالى الحكم العدل له في جميع حالاته ﷺ، وأطال في ذلك.

ثم قال: الكلام(٣) أدل دليل على معرفة ذات المتكلم وصفاته، وانظر إلى قوله ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»(٤)، نعرف إحاطة كلامه لجميع الكلام، وكما أوتي جوامع الكلم فكذلك أوتي جميع الصفات والأخلاق بحيث(٥) أنه توفرت فيه مادة

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٢ .

(٢) سورة يس، آية: ٣٧ .

(٣) سقطت من (أ).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/٢٥٦٨ رقم ٦٥٩٧ بغا)، ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠ رقم ٥٢١ باقي)، ومعنى جوامع الكلم: هي الألفاظ القليلة الكثيرة المعاني، وهذا من الكلام البليغ جداً.

(٥) في (ط): بحسب.

كلّ نبي ورسول، وإن لم يظهر ذلك لنا في هذه الدار، لأن الخصيص بظهور رتبته ﷺ إنما هو اليوم المعهود[١] يوم الفصل والقضاء، ليكون الحكم له بخصوصه في ذلك اليوم [أ٤/ب] من غير مشاركة أحد من الخلق له في ذلك، فعلم أنه لو تصور سؤال جميع الخلق له سؤالاً واحداً لأجاب كل واحد منهم جواباً على حسب حاله ومقامه، ويؤيد ذلك تعليمه لبعض الصحابة الأدعية المختلفة في الحال، والأحكام المختلفة بحسب دوائهم[٢]، فلم يكن ذلك منه إلا لقصد صحيح، ولم يكن ذلك اتفاقية، وأطال في ذلك [ب٤/ب].

ثم قال: واعلم أن من العارفين من يعلم حكمة الحديث الواحد من سائر الوجوه، فإن للحديث من جهة الحق تعالى حكماً، ومن جهة الخلق حكماً، ومن جهة الرسول حكماً، بل يعلم المراد منه عند جميع الأئمة ومقلديهم، وتراه يقبل ذلك كله، فلا يخرج عنه معنى من المعاني التي قالوها، ويعلم أيضاً رتبة الراوي لذلك الحديث بعينه، ورتبته في رواية أخرى، وهكذا في كل ما يرويه، فله في كل حديث رتبة ومقام وحال، فليس عند أهل هذا المقام حديث يناقض آخر جملة واحدة، إنما قال بالتناقض من قصر نظره على الإحاطة برتبة كلامه ﷺ.

[تأويل قول ابن حنبل: رأيت ربي]

٤- **وسألته رضي الله عنه:** عن قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه: رأيت ربي عز وجل، فقلت له: يا رب بمَ يتقرب إليك المتقربون؟ قال: يا أحمد بكلامي، قلت: يا رب بفهم أم بغير فهم؟ فقال تعالى: بفهم وبغير فهم. انتهى. فما المراد بقوله تعالى: بفهم وبغير فهم؟!.

فقال رضي الله تعالى عنه: قوله تعالى: بفهم خاص بعلماء الشريعة [ب٥/أ] المطهرة، وبغير فهم خاص بعلماء الحقيقة، وهم كمل العارفين، إذ العارفون ليس لهم آلة إلى فهم كلام [أ٥/أ] ربهم أو غيره إلا بالكشف والذوق لا الفهم والفكر، ومرادنا بهذا الكشف هو كشف العلوم والمعارف الحاصل بالنفث بالروع، لا

(١) في (أ): الموعود.
(٢) في (أ): دواعيهم.

الكشف المعهود في الحس بين أرباب الأحوال، فإن العلوم ليست محسوسة حتى يكشف عنها كما يكشف عن الأماكن البعيدة في الكشف الصوري، وقد جعل الحق تعالى لعلماء الشريعة نظير هذا الكشف بواسطة الاجتهاد والأدلة المعلومة بينهم، وأطال في ذلك، ثم قال: واعلم أن الله تعالى قد أخبر في كتابه عن أقوام: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(١) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(٢) وأخبر ﷺ عن أقوام من أمته يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم(٣). فكيف تكون هذه الأقوام متقربين إليه؟ وكيف يتقربون بعدم العلم الذي هو الجهل؟ هذا عجيب. والله تعالى أعلم [ب٥/ب].

[مقام المجاذيب في الجنة]

٥- وسألته رضي الله عنه: عن مقام المجاذيب في الجنة؟.

فأجاب رضي الله تعالى عنه: ليس للمجاذيب مقام عملي، فليس لهم في جنة الأعمال نصيب، كما أنه ليس لهم مكان مخصوص يسكنون فيه، ولا ينعمون بمأكل ومشرب ولا ملبس ولا منكح، ولا غير ذلك مما يتنعم به المكلفون، إنما لهم نعيم المشاهدة فقط، فهذا هو الذي يشاركون فيه المكلفون، لكن لهم خصوص وصف في المشاهدة يتميزون به، وأطال في ذلك، ثم قال: بل أقول: إن السوقة وأرباب الحرف والصنائع أعظم نفعاً من المجاذيب، لقيامهم بالأسباب النافعة لهم ولغيرهم، [أ٥/ب] ولكثرة خوفهم من الله تعالى إذا وقعوا في ذنب، ولا يرون لهم عملاً يكفر ذلك الذنب أبداً، هذا مع احتقارهم نفوسهم وعدم رؤيتهم لها على أحد من الخلق بالأدلة، وهذه الصفات عزيزة في أحد من أهل هذا الجدال، انظر هذا، قال: والذي أطلعني الله تعالى عليه أن السوقة وأرباب الصنائع(٤) لهم في كل جنة من

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٤ .

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٧٩ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/١٩٢٨ رقم ٤٧٧١ بغا)، ومسلم في صحيحه (١/٥٦٣ رقم ٢٧٥ باقي).

(٤) في (أ): الحِرَف.

الجنان الأربع القدم الراسخة، وهي جنة الفردوس، وجنة المأوى، وجنة النعيم[١]، وجنة عدن، وهي المخصوصة بالمشاهدة المغيبة[٢] لهم عن شهود نفوسهم، ما عدا علمهم مما يعطيه الله تعالى لهم من العلوم والمعارف والأدب[٣]، على قدر مقامهم وأحوالهم، فهم ولو فنوا عن شهود نفوسهم لا يفنون عن شهود ما أعطاه الله تعالى لهم مما ذكرناه، وذلك ليتأدبوا به إذا رجعوا إلى إحساسهم، فلا يزالون كذلك يحفظون ما علمه الله تعالى لهم في تلك الغيبة حتى [ب٦/أ] يفيقوا منها. وأطال في ذلك.

ثم قال: فعلم[٤] أن المجاذيب كالأطفال سواء، إلا أن الأطفال يتميزون عن المجاذيب بسريانهم عن الأشياء بها، واحتجابهم بكل شيء (عن ذلك الشيء)[٥]، ولذلك ورد في الحديث: «إنهم دعاميص الجنة»[٦]، أي غواصون فيها لا يمنعون، ثم لا يخفى أن ما زاد على هذه الأربع جنات إنما هي أوصاف خاصة لكل جنة منها ما[٧] ليس للجنة الأخرى، فافهم. حتى تدخلها وتنظر ذلك بعينك.

فقلت له: فهل النشأة التي يكون [أ٦/أ] عليها أهل الجنة تكون كهذه النشأة التي نحن عليها الآن أم لا؟.

فقال: نشأة أهل الجنة مخالفة لهذه النشأة صورة ومعنى، كما أشار إليه قوله ﷺ: «في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٨]،

---

(١) سقطت من (ط).

(٢) في (أ): والمغنية.

(٣) في (أ): الآداب.

(٤) في (أ): نعلم.

(٥) سقطت من (ط).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٢٩ رقم ٢٦٣٥) عن أبي هريرة ولفظه: «صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أبويه...». ومعنى دعاميص: واحد دعموص أي: صغار أهلها، وأصلها: دويبة مائية.

(٧) في (أ): (وصف) بدل (ما).

(٨) رواه الطبراني في الأوسط، والبزار عن أبي سعيد وصححه السيوطي (الجامع الصغير ٢/ ١٨٢ رقم ٥٩٢٠).

وفي الحديث إشعار بأن حجاب البشرية ما دام بالشخص منا فهو محجوب عن مشاهدة أحوال أهل الجنة، لأن نشأة أهل الجنة الغالب عليها الشهود والإطلاق، لا الحجاب والتقييد، فمن كشف [ب٦/ب] حجابه من العارفين؟.

هنا علم أحوال أهل الجنة علماً لا شك فيه لخروجه عن حجاب بشريته، وقد بين الحق تعالى لنا ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾[١] أي إلهاماً أو تقليداً[٢] من وراء حجاب البشرية، فالوحي الإلهامي للأولياء، والتقليدي للمؤمنين، وما سمي البشر بشراً إلا لمباشرته الأمور التي تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح، لو سلم منها لكلمه تعالى كما كلم الأرواح من الملائكة، وإنما كلم الله تعالى محمداً ﷺ بالوسائط مع علو مقامه عن جميع الخلق زيادة تثبيت ويقين، وأكثر من ذلك لا يقال على أنه تعالى قد كلمه ﷺ بارتفاع الوسائط في بعض الوقائع إعطاء للجزء الذي يطلب سماع كلام الله تعالى بغير واسطة حقه، فافهم.

ثم اعلم أن الحق تعالى قد جعل لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة [أ٦/ب] في النكاح، لإدراك[٣] حقائق متغايرة حكماً ومحلاً مع إيجادها في الباطن، إذ الإدراك ليس إلا[٤] للنفس، وهي حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة، وإنما تنوعت الآثار في هذه الحقائق لتنوع آثارها، وفي الآخرة ينقلب هذا الباطن ظاهراً وتتحذ[٥] أحكام هذه الصفات [ب٧/أ] حكماً ومحلاً، فيسمع بما به يبصر، بما به يتكلم، بما به يذوق، بما به يشم، بما به يلمس، وبالعكوس، ويبصر بسائر جسده، ويسمع بسائر جسده، ويأكل كذلك، وينكح كذلك، ويشم كذلك، وينطق كذلك، ويدرك كذلك.

(١) سورة الشورى، آية: ٥١ .
(٢) في (أ): تقييداً.
(٣) في (ط): والإدراك.
(٤) سقطتا من (ط).
(٥) في (ط): (تتخذ) بالذال وقبلها خاء.

قال: وهذه الأمور لا يصلح[(١)] إدراكها بالعقل لاستحالتها عنده، ولولا أن الله تعالى كشف عن العارفين الحجاب ما صح لهم معرفة ذلك.

فقلت له: فهل الأكل عام لجميع من دخل الجنة؟.

فقال: لا إنما الأكل لبعض دون بعض، على غير الصورة المعهودة هنا، وقد أشار إلى ذلك سيدي عمر بن الفارض[(٢)] رضي الله عنه في تائيته[(٣)] وغيرها، والله تعالى أعلم [ب٧/ ب].

[حكمة تخصيص الاشتياق لأربعة من الصحابة]

٦- **وسألته رضي الله عنه:** عن قوله ﷺ: «الجنة تشتاق إلى أربع: علي وعمار وسلمان وبلال»[(٤)]، ما حكمة تخصيص هؤلاء الأربعة؟!.

فقال رضي الله عنه: هؤلاء الأربعة أركان نعيم الجنة، فعليٌّ من العلو، وعمار من العمارة، وسلمان من السلامة من الآفات، وبلال من البلة التي هي برد القلب من خطور زوال ذلك النعيم. وأطال في ذلك ثم قال: إن الجنة تتنعم بأهلها كما يتنعم أهلها بها، وكما النعيم لا يكون إلا مع وجود الروح والجسد، فكان من الحكمة قيام هؤلاء الأربعة المذكورين في الحديث بالجنان [أ٧/ أ] ليصح لأهلها التنعم كالحقائق الإنسانية، لأن معنى هؤلاء الأربعة المذكورين[(٥)] هم روح الجنان الأربعة وأجسادها، فلا نعيم يظهر لأهل الجنة إلا بوجود هذه الأربعة رضي الله عنهم، فهم حقيقة النعيم، وهم الموكلون أيضاً بالأنهار الأربعة المذكورة في القرآن، فيفرقون على كل أحد منها بحسب حيطته ومشربه من التوحيد وقوة استعداده، لأن هذه الأنهار الأربعة هي مظاهر العلوم والأعمال المكسوبة

---

(١) في (أ): لا يصح.

(٢) مرّ موجز ترجمته.

(٣) هي تائيته قد سمّاها «نظم السلوك»، مطلعها: سقتني حميّا الحبّ راحة مقلتي. يقال: إن الشيخ الأكبر كتب لابن الفارض يستأذنه في شرحها، فأجابه: إن الفتوحات المكية كلها شرح لها.

(٤) عزاه صاحب «كنز العمال» إلى ابن عساكر (١٣/ ٢٥٦ رقم ٣٦٧٥٧) باللفظ الذي ذكره المؤلف.

(٥) سقطت من (أ).

والموهوبة، وأطال في ذلك ثم قال: ويوضح لك ما قلناه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(1)، والله أعلم.

[حقيقة الشجرة التي أكل منها آدم]

٧- وسألته: عن حقيقة الشجرة التي أكل منها آدم عليه السلام ما هي(2)؟!.

فقال: هي الأفعال المقابلة لما عليه الأنبياء وكمل ورثتهم، من كمال الأفعال والأخلاق، والسر في ذلك إظهار منة الله على العبد وحلمه عليه لا غير، والكل منه وإليه لا يخفى تفاوت الناس في الذنوب، فربما كان ما يتقرب به عبد يتوب منه عبد آخر والله تعالى [ب٨/أ] أعلم به.

[هل رجال سلسلة الطريق أقطاب؟]

٨- وسألته رضي الله عنه: عن مشايخ سلسلة طريق القوم كالشيخ يوسف العجمي(3) وسيدي أحمد الزاهد(4) وأتباعهما، هل كانوا أقطاباً، أم لا؟.

فقال رضي الله عنه: لم يكونوا أقطاباً وإنما هم كالحُجّاب على حضرة الملك، لا يدخل على الملك إلا بإذنهم، فهم يعلّمونَ الداخلين الآداب الشرعيةَ على اختلاف مراتبها، وأما ما ظهر عليهم من الكرامات والخوارق، فإنما ذلك لصفاء نفوسهم وكثرة إخلاصهم، ومراقبتهم ومجاهداتهم.

وأما القطبية [أ٧/ب] فجلّت أن يلمح مقامها الأحوط غير من اتصف بها، وقد

---

(١) سورة العنكبوت، آية: ٦٤.

(٢) ورد هذا السؤال وجوابه مفاضاً فيه في كتابه «الجواهر والدرر»، انظره تحت (رقم ٥٧٩ بتحقيقي. ط دار التقوى بدمشق.

(٣) هو الشيخ العارف بالله تعالى يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر العجمي الكوراني، جمال الوقت، كان ذا طريقة غريبة في الانقطاع والتسليك، وله التلامذة الكثيرة وعدة زوايا. أخذ العهد عن الشيخ نجم الدين محمود الأصفهاني، وعن الشيخ بدر الدين محمود الطوسي. توفي الشيخ العجمي سنة (٧٦٨هـ). ولقد ترجم له الشعراني في طبقاته (٢/ ٧٦-٧٧).

(٤) هو الشيخ أحمد بن سليمان الزاهد، الإمام العالم العامل الرباني، شيخ الطريق وفقيه أهلها، ربّى الرجال وأحيا طريق القوم بعد اندراسها، وصنف عدة رسائل في أمور الدين، وكان يعظ النساء في المساجد. قال الشعراني: وعندي نحو (٦٠) كراساً في المواعظ، توفي سنة نيف وعشرين وثمانمائة، ودفن بجامعه (الطبقات الكبرى ٢/ ٨٣ رقم ٣٢٠).

ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي(١) رضي الله عنه: أن للقطبية ستة عشر عالماً أحاطت بالدنيا والآخرة، ومن فيهما عالم واحد من هذه العوالم فافهم.

فقلت له: فالتصريف الذي يقع على أيدي هؤلاء المسلكين هل هو لهم بالأصالة كشأن القطب أم هو [ب٨/ب] لغيرهم؟.

فقال رضي الله عنه: اسمع إذا أراد الله تعالى بإنزال بلاء أو أمر شديد تلقى ذلك القطب رضي الله عنه بالقبول والخوف، ثم ينتظر ما يظهره الله تعالى في ألواح المحو والإثبات الثلاثة مائة وستين لوحاً الخصيصة بالإطلاق والسراح، فإن ظهر له المحو والتبديل نفذه بقضاء الله تعالى وإمضائه في العالم بواسطة أهل التسليك الذين هم مدنة ذاته رضي الله عنهم، فينفذون ذلك وهم لا يعلمون أن الأمر مفاض عليهم من غيرهم، وإن ظهر له أن ذلك الأمر ثابت لا محو فيه ولا تبديل دفعه إلى قرب عدد ونسبة منه، وهما الإمامان، فيتحملان ذلك، ثم يدفعان إن لم يرتفع إلى أقرب نسبة منهما وهما الأوتاد، وهكذا حتى يتناول الأمر إلى أصحاب دائرته جميعاً، فإن لم يرتفع فرقته الأفراد وغيرهم من العارفين إلى آحاد المؤمنين حتى يرفعه الله عز وجل، وربما أحس بعض الناس ببلاء ولا يعرف من أين أتاه، وهو من ذلك البلاء الذي فاض على أصحاب المراتب، فلو لم يحمل القطب وجماعته البلاء عن العالم لتلاشى العالم في لمحة، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم [أ٨/أ] بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)، أي جعل لنا من يحمل عنا ما لا طاقة لنا به، وقال في حق القطب بلسان الإشارة: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾(٣)، وفيه أيضاً إشارة إلى القطب إلا من شاء الله، فإنه تعالى أثبت العمد ونفى رؤيتها، فلو كان هؤلاء المسلكون الذين أشرنا إليهم آنفاً [ب٩/أ] أقطاباً ما عرفهم إلا قليل، وهؤلاء جمهور الناس يعرفونهم والله تعالى أعلم.

---

(١) الجيلاني: هو الشيخ العارف بالله قطب الأولياء وشيخ الأصفياء أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني الحنبلي الشافعي، ولد سنة (٤٧٠هـ) وتوفي سنة (٥٦١هـ)، مشهور بالكرامات، وقد جمع بين العلم والطريق، فكان من علماء الشريعة والحقيقة معاً. («سير أعلام النبلاء» للذهبي ٢٠/ ٤٥٠).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥١ .

(٣) سورة لقمان، آية: ١٠ .

[صلاة الاوابين]

٩- وسألته رضي الله عنه: ماذا أنوي بالست ركعات[١] التي أصليها بعد صلاة المغرب؟.

فقال رضي الله عنه: إنوِ باثنين منها الشكر لله على نعم لا تستطيع لها شكراً، وباثنين منها الشكر لله الذي جعلك مسلماً، وباثنين منها الشكر لله الذي جعلك من أمة محمد ﷺ. ثم قال لي: وهكذا فافعل في سائر النوافل التي بعد الفرائض، انو بها الشكر لله على تأدية تلك الفريضة، ثم قال: هكذا أوصاني سيدي إبراهيم المتبولي[٢] رضي الله عنه، وكذلك بأن أصلي صلاة الغيبة بعد المغرب على كل من مات وغسل من أموات المسلمين ذلك اليوم، ثم قال لي: ولا تواظب على ذلك لكون رسول الله ﷺ لم يفعله. والله تعالى أعلم [ب٩/ ب].

[هدايا الناس]

١٠- وسألته رضي الله عنه: عن قبول هدايا الناس الذين يعتقدون فيّ، هل أردها أم أقبلها وأعطيها لمستحقها؟.

فقال: السلامة في هذا الزمان رد ذلك لغلبة الحرام والشبهات في المكاسب، ومن تعب في تحصيل شيء فهو أحق بتفرقته، ثم قال: يا أخي سمعت [أ٨/ ب] سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: كل لقمة نزلت في جوف الفقير من غير كسبه الشرعي أخذت من عبوديته جانباً، واسترقت منه خيراً لذلك المحسن قهراً

(١) هي صلاة سمّاها بعض الفقهاء صلاة الأوابين، علماً أن صلاة الأوابين هي نفسها صلاة الضحى. وهذه الصلاة التي بين المغرب والعشاء يعتني بها أهل الله كثيراً، وكان يعدّها بعضهم صلاة الترقّي، أو صلاة فتوحاته. كما أن الشيخ عبد القادر الجيلاني من قبل ذكرها في كتاب «الغنية» وحض تلامذته عليها. ولقد تكلّم عنها الشيخ الخواص بأوسع من هذا الكلام في كتاب «الجواهر والدرر الكبرى»، انظر: الفقرة (٧٤٥) بتحقيقي. ط دار التقوى بدمشق.

(٢) هو الشيخ العارف بالله تعالى إبراهيم بن علي بن عمر، برهان الدين المتبولي، صالح مشهور بصلاحه وتقواه، هو من بلاد متبول بمصر، كان له سخاء وبرٌّ ومعروف، أنشأ جامع طنطا الكبير، له كتاب «الأخلاق المتبولية»، وله «الوصية» شرحها الشعراني، توفي عن (٨٠) عاماً بأسدود المنوفية سنة (٨٧٧هـ)، (الأعلام ١/ ٥٢).

عليه، وإن كان ولا بد من الأكل من طعام الناس فكافيء كل من أكلت عنده، حتى ترى أنه استوفى حقه في العادة، ولو بالدعاء له في أوقات الإجابة وغيرها. والله تعالى أعلم.

[العارف بالله تعالى لا ينقض مرتبته طعام]

١١- وسألته رضي الله عنه مرةً أخرى عن قول بعضهم: إن الفقير إذا عرف الله لا يؤثر الأكل فيه من طعام الناس نقصاً؟.

فقال رضي الله عنه: اعلم أن المدد الذي لم يزل فياضاً على قلب كل إنسان يتلون بحسب القلب، والقلب يتلون بحسب إصلاح الطعمة وفسادها، ثم قال: إن الله تعالى ينطق على لسان عبده بحسب مضغته، فإن كان قلبه مطهراً من سائر الرذائل نطق بالكلام النفيس الذي يشبه الوحي، وإن كان ملطخاً بشيء من القاذورات نطق بما [ب١٠/أ] يشبه كلام الشياطين، انتهى.

[لقاء الشيخ الأكبر بالأنبياء]

١٢- وسألته رضي الله عنه: عن قول الشيخ محيي الدين بن العربي(١) رضي الله عنه: اجتمعت في مشهد أقدس بجميع الأنبياء والمرسلين ولم يكلمني منهم، ولم يفرح بي إلا هود عليه السلام، ما سبب تخصيص هود عليه السلام بكلامه له وفرحته به دون غيره؟.

فقال رضي الله عنه: البشارة. ولم يزد.

فقلت له: ما معنى هذا اللفظ؟.

فقال: أمر لا يمكنني شرحه، لاحتياج ذلك إلى نسبة بيان هود ورتبته من جانب الحق تعالى، واحتياجه بالأحدية المغنية له عن شهود شكره للآلات

(١) هو الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي المتوفى سنة (٦٣٨هـ). قد أجمعت مصادر ترجمته على أنه ولد يوم الاثنين (١٧) رمضان سنة (٥٦٠هـ) في مرسية الأندلس، طاف بلاداً كثيرة، وله مؤلفات كثيرة منها: «الفتوحات المكية»، و«فصوص الحكم»، و«محاضرة الأبرار»، و«روح القدس»، و«مجموعة رسائل»، وديوان شعر وشرحه: «ترجمان الأشواق» وغيرها. (انظر: ترجمته في كتابنا «جبل قاسيون» ص١٥٥).

والوسائط. وأما فرحه عليه السلام بهذا العارف [٩/أ] فاعلم أن البرزخ وإن كان لجميع الأنبياء والمرسلين فيه السراح والإطلاق حيث شاؤوا، لكنهم كالمقيدين فيه بالنسبة إلى إطلاق الآخرة وما فيها من النعيم، فإنهم وإن شهدوا ذلك في البرزخ، فإنما يشهدونه من خلف الحجاب من غير واسطة جسمهم، فإن أجسامهم مقيدة تحت [ب١٠/ب] الأرض، والكمال في النعيم إنما يكون بواسطة الجسم والروح. فلذلك فرح هود عليه السلام بهذا العارف لكونه من الأمة المحمدية، لأن في رؤيته بشارة بانقضاء مدة البرزخ، لكون هذه الأمة آخر من يدخله لكمال نشأتهم وتكليفهم بالعمل بكل شريعة وأدب إلى غير ذلك مما خصوا به من الإرث المحمدي.

وأيضاً فإنّ هوداً عليه السلام يعلم أن لهذه الأمة المحمدية ختماً جامعاً لكل رتبة ومقام إرث وولاية بأحدية جمعها، وتنوع وحدتها، حتى يستغرق كل نعت ووصف وإمداد واستمداد، أحدياً كان أو وحدانياً، بسر تنزله وإحاطته بعوالمه المطلقة والمقيدة، وما هو خصيص به أصلاً وفرعاً حكماً وعيناً، سعةً وضيقاً، قيداً وإطلاقاً، حتى أن كل ولي كان أو يكون إنما يأخذ عن هذين الختمين اللذين يكون أحدهما خاتم ولاية الخصوص، والآخر يختم الولاية العامة، فلا ولي بعده إلى قيام الساعة، وقد أخبر هذا العارف عن نفسه أنه أحد الختمين، وأقام البرهان على ذلك بشرحه لأسئلة الحكيم الترمذي(١) المائة وخمسين سؤالاً التي ذكرها الحكيم الترمذي رضي الله عنه: أنه لا يعرف الجواب عنها إلا الختم الذي يواطىء اسمه [ب١١/أ] اسمي، أي محمد بن علي، كالترمذي [٩أ/ب] محمد بن علي، والشيخ محيي الدين محمد بن علي(٢)، وبينه وبينه نحو ثلثمائة سنة، فكان فرح هود عليه السلام برؤية الشيخ محيي الدين لعلمه بأنه أحد الختمين، وعلم بذلك قرب انشقاق

(١) هو الشيخ الحكيم العالم الرباني أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي، لقي أبا تراب النخشبي، وأبا عبد الله بن الجلاء، وأحمد بن خضرويه، والترمذي من كبار علماء خراسان، وله التصانيف المشهورة منها: «نوادر الأصول»، و«ختم الأولياء». له أقوال تنبىء عن درايته بعلم القوم منها: صنة الخلق ضعف ظاهر ودعوى عريضة. من شرائط الخدام التواضع والاستسلام. كفى بالمرء عيباً أن يسرّه ما يضرّه... وحدث الشيخ بنيسابور، وعاش نحو (٨٠) سنة رحمه الله تعالى. (الطبقات ١/ ٩١ رقم ١٧٧).

(٢) هو الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي. تقدمت ترجمته.

الفجر الأخروي والانتقال من البرزخ إلى إطلاق الآخرة وسراحها، هذا ما ظهر لي من الجواب في هذا الوقت. والله أعلم.

[لا تتفاءل بمدح الآخرين لك]

١٣- وسألته رضي الله عنه: هل أصغي لمن يمدحني تفاؤلاً بأن ذلك عنوان على مدح الحق لله تعالى؟.

فقال: لا تركن قط إلى من يمدحك، فإن النفس تألف ذلك من غير إشعارك، وكل شيء ألفته نفسك تخلفت به عن اللحوق والتخلق بآداب العبودية، التي من شأنها فقرك دائماً وغنى ربك دائماً [ب١١/ب].

وإيضاح ذلك أن كل كمال ادعاه الإنسان إنما هو حقيقةً لله تعالى، وهو في ذلك منازع لأوصاف الربوبية من حيث لا يشعر، فحاله كحال فرعون والنمرود سواء، حيث ادعيا ما ليس لهما من صفات ربهما، وكان ذلك سبب هلاكهما، وقد وقع التوبيخ الإلهي لمن يدّعي ما ليس له بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، وقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾[٢]، كل ذلك إعلاماً للعبيد أن ينتبهوا لأنفسهم ويعترفوا بالعجز والذل والسكينة، وأن لا يتعدوا صفات العبودية التي خلقوا لها، والله أعلم.

[الأحدية التي تسري في الوجود]

١٤- وسألته رضي الله عنه ـ بلسان الافتقار ـ عن الأحدية السارية في الوجود وشدة ظهورها مع خفائها؟.

فأجاب رضي الله عنه: بقوله: ألها[٣] ثم سكت؟ ثم قال: كم؟ ثم قال: التكاثر. ففهمت ما تحته وهذا من جوامع الكلم فاعلم ذلك.

[تدوين الخواطر]

١٥- وسألته رضي الله عنه: هل أكتب [أ١٠/أ] كل ما يرد على قلبي من العلوم والمعارف؟.

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦ .
(٢) سورة الرحمن، آية: ٣٣ .
(٣) أي هل لها هذا السريان الذي تذكره؟.

فقال رضي الله عنه: إن صحبك ذلك عند انفصام تنزله، فاعلم أن الله تعالى أراد ثبوته[١]، فاكتبه، وإن محا الله تعالى (علمه من قلبك)[٢] عند انفصامه فاعلم أن الله تعالى لم يرد إثباته، فلا تلتفت إليه. فمن حين قال لي ذلك لم أقدر أعبر عن ذلك بعبارة، مع أني أدرك معاني ذلك في نفسي وأشهده علماً صحيحاً، فلله الحمد.

[بماذا يوصي المؤمن بين يدي موته؟]

١٦- **وسألته رضي الله عنه**: عن شيء أوصي به عند الموت يفعل بعدي.

فقال: لا [ب١٢/أ] تفعل شيئاً من ذلك، فإني وأنت ليس لنا مع الله اختيار في دار الدنيا، فكيف تختار شيئاً بعد الموت؟! انتهى.

[لا تجعل بينك وبين الله واسطة]

١٧- **وسألته رضي الله عنه**: هل أقرأ أو أصوم وأجعل ثواب ذلك لآدم عليه الصلاة والسلام، ليكون ذلك وصلة بيني وبينه في المعرفة في الآخرة لسبب أعلمته به؟.

فقال: لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبداً من نبي أو غيره.

فقلت له: كيف؟.

فقال: لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب[٣] في الدعوى إلى الله، لا إلى نفسه، فإذا وقع الإيمان الذي هو مراد الله تعالى من عباده، ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك، وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله، ولم يبق للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع، كما في حال المناجاة في السجود سواء، فنفس الرسول يغار من أمته أن يقفوا معه دون الله تعالى، فإنه يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ، كما حصل له الأجر

(١) في (أ): إثباته.
(٢) في (أ): (على من يملك) والمثبت أعلاه هو الأصوب.
(٣) في (أ): ربه.

على ذلك، كما أشار إليه قوله ﷺ: «من سن سنةً [ب١٢/ب] حسنةً فله أجرها وأجر من يعمل بها»[(١)] الحديث.

وانظر يا أخي إلى غيرة الحق تعالى على عباده بقوله لمحمد ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ [أ١٠/ب] دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[(٢)] فأعلمنا تعالى بأنه أقرب إلينا من أنفسنا، ومن رسولنا الذي جعله الله تعالى واسطةً لنا في كل خير، مع أنه تعالى بالغ في مدحه ﷺ حتى كاد أن يصرح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال، في نحو قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[(٣)]، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[(٤)]. ومع ذلك قال له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾[(٥)]، فأخرجه عن حال الخلق، ونفاه عنهم، وأثبته معه في البراءة عن المثلية وعن مشاركة أحد منهم له في كماله أو رتبته ﷺ فافهم. والله أعلم.

[الفرق بين صوتي الجن والإنس]

١٨- وسألته رضي الله عنه: عن الفرق بين صوت الجن والإنس، فإنه يرد علينا أصوات في الليل لا ندري أهي صوت جني أم إنسي، فيقع لنا الالتباس؟.

فقال: خطاب الجني أو الملك لنا يعرف (بكونه لا يقدر)[(٦)] على مخارج الحروف، لأنها تطلب أنطاقاً كثيفة، وهما من الأجسام اللطاف.

فقلت له: فكيف يحصل لنا العلم بما يقولونه؟.

فقال: يحصل بنطقهم بمثال الحرف لا بحقيقته، فإن الأحرف التي ينطقون بها

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» والسجزي في «الإبانة» عن واثلة (انظر «كنز العمال» ١٥/ ٧٩٠ رقم ٤٣١٢٦).

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٦ .

(٣) سورة النساء، آية: ٨٠ .

(٤) سورة الفتح، آية: ١٠ .

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٢٨ .

(٦) في (أ): بكونهما لا يقدران.

بعضها على مثال أحرفنا، وبعضها لا يمكنها النطق به إلا بواسطة حيوان يدخلون فيه، فيتمكنون إذ ذاك من إظهار الحروف. والله تعالى أعلم.

[من حقائق البرزخ]

١٩- وسألته رضي الله عنه: عن عالم الخيال هل هو البرزخ؟.

فقال: لا لأن الشاهد عند التحقق بالنزول في البرزخ لا يمكنه أن يعود إلى هيكله الأول، وعالم الخيال متصل بهما.

فقلت له: إنه برزخ في نفسه؟.

فقال: نعم. فقلت: ويختلف فيه الأحوال [ب١٣/أ] من الآن الواحد تنوعاً وتغييراً لحكم مطلق البرزخ؟.

فقال: نعم. فقال له أخي أفضل الدين[1]: إني [أ١١/أ] أجد الجمع بين الضدين في عالم الخيال، كالحال في البرزخ، فقال: البرازخ تقبل ذلك.

فقلت له: إني لا أجد بين عالم الخيال والحس مراتب البرازخ عند حالة رجوع النفس، ويقع لي الإدراك والعلم بذلك، إلا أني أشهد نفسي حينئذ كأني في العدم.

فقال: البرازخ لا حقيقة لها ثابتة، كالحال في الحال فيها.

فقلت له: فإذاً الوجود بأسره مطلق ومقيد ببرازخ والعدم محيط بالكل؟.

فقال: نعم وفي كل موطن، حتى لا يكون في الوجود حقيقة إلا الحق تعالى.

فقلت له: هل لهذا العدم مقابل؟.

فقال: لا لأنه لو كان له مقابل لكان عدمه نسبياً.

فقلت له: فما التحقيق؟.

فقال: وجود مطلق يعرفه كل قلب مطلق بغير معرفة. انتهى. وكان ذلك في مجلس حانوته بعد العصر رضي الله عنه [ب١٣/ب].

---

(١) هو أخوه في النسب والدين وطلب العلم والطريق، وكان له معرفة ومكانة بين العارفين بالله، وقد ترجم له الشعراني في «الطبقات الكبرى»، وكان يكثر من ذكره في كتبه ويسند عنه آراء وأقوال ذات قدر، وستأتي ترجمته.

[العلم بصفات الله تعالى]

٢٠- وسألته رضي الله عنه عن الصفات: هل يصح تعلقها بالذات؟.

فقال: لا لأن الصفات معدومة عندها لاستغنائها بشهود حالها.

فقلت له: فهل يصح العلم بالذات؟.

فقال: العلم لا يحيط إلا بالصفات، لأنه من جملتها.

فقلت له: فالإيمان؟ قال: شهود وصمت، وبه يصح العلم بها لها، لأنها العالمة، وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[(١)]، دليل على ما قلناه لا يخفى على المحقق، فقلت له: والأرض كذلك؟ فقال: نعم لكن حواء ليست كآدم، فقلت له: فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[(٢)]، يفيد ما أفادته آية الماء، فقال: نعم لكن الموجود عن هذا النفس معلوم مشهود، وهي غير مشهودة بخلاف الماء وما ظهر منه، فإنهما مشهودان معروفان.

فقلت له: قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[(٣)] أفاد العلم بالصفة والموصوف؟.

فقال: نعم ولا تتكلم بذلك إلا معي خوفاً من أن يطلب منك أحد نقلاً، وهذا لا يمكن، لأنها حقائق مجردة [أ١١/ب] عن الأفهام والأمثال.

فقلت له: هل أعتمد من الآن على النقول؟.

فقال: لا بل اعتمد في نفسك على ما يظهره الله فيك من العلوم، فإن نفسك أقرب إليك ممن تنقل عنه، لمعرفته الصحة ودليلها وقدرتك على التعبير منها، فلا يعتمد على النقل إلا لمن يطلب النقول والسلام.

[سبب تنوع طرق الأولياء]

٢١- وسألته رضي الله عنه: عن سبب تنوع طرق الأولياء وكثرتها، مع أن المطلوب [ب١٤/أ] عند الجميع واحد لا تصح فيه القسمة ولا يقبلها؟.

فقال: إنما تعددت الطرق لتعدد القوابل والاستعدادات، لأنه لا يدرك الاثنان

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٣٠ .

(٢) سورة النساء، آية: ١ .

(٣) سورة النساء، آية: ١ .

بصفة واحدة أبداً، ومحال أن يوجد الحق تعالى عند واحد، ويكون مفقوداً عند آخر، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(١)، واليوم هو الزمن الفرد الذي لا يدرك، وكذا أشار إليه قوله تعالى: ﴿هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(٢) فإن الرحمة غير الذات، والعلم صفتها. فافهم.

[سبب الخشوع حال الذكر وذهابه]

٢٢- **وسألته رضي الله عنه**: عما يجده الذاكرون من الخشوع حال الذكر، وعند فراغهم يذهب كأن لم يكن؟.

فقال: إنما تغير الحال على هؤلاء لأن خشوعهم كالرطب المعمول الذي يتغير بسرعة، فأين هو من الرطب الجني الذي لا يزداد بمكثه إلا حسناً وحلاوةً لكماله وبلوغه؟! وكذلك حكم هؤلاء في كشفهم وكراماتهم، فإنما يكون ذلك [ب١٤/ب] لهم ما داموا لا ميل لهم فيها. وأطال في ذلك.

ثم قال: فاحذر يا أخي هذه الطريقة وأخلص لله في العمل، ولا تطلب منه كرامةً غير تأهيلك لخدمته، وكن عبد ربك لا عبد نفسك وهواك، لأن من شأن النفس المحبة لهذه الصفات لتتكبر بها على جنسها، والحق لا يدرك لمحبة النفس وتكبرها وتلصصها على مراتب الأولياء، [أ١٢/أ] وإنما يدرك تعالى به منه فضلاً ومنة ﴿اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾(٣). فقلت له: وما ملة أبينا إبراهيم؟.

فقال: التسليم والتفويض لله رب العالمين. فقلت: إني لا أحس بخشوع في ذكري ولا في غيره هذه الأيام؟.

فقال: هذا من الله رحمة بك، حيث ستر عنك حالك لتكون عبداً دائماً. **فقلت له**: وأنا بحمد الله عبد دائماً.

فقال: هو كذلك لكن الامتحان آفاته كثيرة، والمحبوب عند الله من ادخر له

---

(١) سورة الرحمن، آية: ٢٩ .

(٢) سورة طه، آية: ٩٨ .

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨ .

جميع ما وعده به إلى الآخرة، ليعطيه له في دار البقاء، لأن كل من أعطي شيئاً من محبوبات النفوس في هذه الدار نقص رأس ماله، وخرج من الدنيا بخسارة، اللهم إلا أن يعطيه الحق تعالى شيئاً ابتداء من غير ميل للنفس، فذلك محمول عن [ب٥/١٥/أ] صاحبه إن شاء الله تعالى لا ينقص به رأس ماله.

ثم قال: يا ولدي إياك أن تميل إلى شيء تألفه النفس فإن الهم معه، ولا بد لنفوذ الهم من معين، ولا معين له إلا النفس، وانظر إلى قوله تعالى لآدم وحواء عليهما السلام: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾(١) مع علم آدم عليه السلام بها حال تعليمه الأسماء، فلما أراد الله تعالى نفوذ قضائه وقدره ألف بينه وبين من كان سبباً لأكله من الشجرة، وليست إلا حواء، فقلت له: إني على علم من هذا لا يعلمه إلا أنت؟.

فقال: قل، فقلت: تعليم الحق تعالى لآدم الأسماء إذن له في الأكل من الشجرة، لأن الأسماء التي علمها لا يبلغها الإحصاء، وهي كلها أسماء كونيات، وفي الحديث: «علمه كل شيء، حتى علمه اسم القصعة والقصيعة»(٢).

وقيل: إن ذلك من كلام ابن عباس رضي الله عنهما، وليست هذه الأسماء لائقة بالجنة، لأن [ب٥/١٥/ب] الجنة لا يفتقر أحد فيها إلى اسم يستدعي [أ١٢/ب] به حاجة ما، لأنها دار تكوين بالهمم والأنفاس، لأن الله تعالى أعطى أهلها أن يقول أحدهم للشيء كن فيكون، فالجنة محل الغنى لا الافتقار، فبقيت عندنا تلك الأسماء معلومة الأثر، هذا مع علمه بما قالت الملائكة في حقه وحق ذريته من سفك الدماء والخلاف والتنازع وغير ذلك(٣) مما لا يليق بالجنة، ومع علمه أيضاً بأنه لم يخلق للجنة ولا للخلود فيها ابتداء، يعلم ذلك كل من دخل الجنة بالخصوصية، فكان آدم عليه السلام يعلم أنه لا بد من خروجه من الجنة لدار الدنيا لأجل التناسل لجميع بنيه، ولأجل التكاليف، وكان يعلم أيضاً أن العبد لا يكمل في

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٢) رواه ابن جرير ووكيع عن ابن عباس. (انظر: «الدر المنثور» للسيوطي، ١/١٢٠).

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

مقام العبودية الذي به شرفه إلا بالافتقار والذل، ولذلك خالقه؛ مع أنه لا تظهر سيادة ربه إلا بإظهاره هو الذل والانكسار، وفلك الجنة يأبى ذلك، ولذلك لم يكن فيها تكليف أحدهما هو في الدنيا، إنما هي دار عز وغنى، وكان أيضاً يعلم باطلاعه في اللوح المحفوظ أنه لا بد من إظهار خلق على صورته منه، كما أراه الحق ذلك في عالم الذْرّ حين استخرجهم من ظهره لأجل أخذ الميثاق، ومن هناك علم رتبة محمد ﷺ، ورأى هناك نور داود ـ عليه السلام ـ الذي استنارت خلافته [ب١٦/أ] بزيادته أخرى، وهناك وهبه من عمره ما وهب إكراماً له.

وكان يعلم أيضاً أنه ليس من شأن الكريم أن يخرج من جواره عبداً بغير حجة تقام عليه في ظاهر الأمر، فلذلك بادر آدم عليه السلام إلى إقامة الحجة بأكله من الشجرة ليتميز الحق بالكمال المطلق، ويتميز العبد بالافتقار والذل، وكل ذلك كان في حضرة شهوده في الجنة حسبما ورد، فلما تعارضت عنده هذه الحقائق [أ١٣/أ] وعلم من معرفته الأسماء أنه خليفة على قوم سيظهرهم الله تعالى منه ليودعهم سر تلك الأسماء التي علمها، ليوصل ذلك إلى النبيين من ذريته؛ بقي متوقعاً ظهور الإذن له من ربه بالنزول إلى فعل ما أمر به، حيثما جعله الحق خليفة في الأرض، وجعل الله تعالى له هذه الشجرة التي أكل منها في الجنة مذكرة له بعجائب الجنة، حتى لا ينسى مقام التقريب، فكانت الشجرة رحمة له من ربه، فإنَّ الأكل لو كان في غير الجنة ما التفت إليها، ولا اشتاق إليها، ولا يعرف مقام الوصال إلا أهل الهجر، فلذلك استعجل آدم عليه السلام الأكل من الشجرة، لعلمه أنه لا ينزل إلى محل [ب١٦/ب] خلافته إلا إن أقيمت عليه الحجة بشيء وقع فيه في حضرة الله تعالى، وساعده على ذلك سذاجة[1] قلبه، فإن الأنبياء قلوبهم صافية ساذجة. لا تظن أن أحداً يكذب ولا يحلف بالله كاذباً.

فلذلك صدق من قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾[2] حرصاً على عدم خروجه من حضرة ربه الخاصة، وينسى حينئذ النهي الذي كان وقع له في

(١) لا يقصد من السذاجة غباء كما هو شائع بين الناس، وإنما السذاجة هُهنا البساطة المبنية على سلامة القلب وبراءته.

(٢) سورة طه

أكله من الشجرة، وانكشف له سر تنفيذ أقدار ربه فيه، وطلب بأكله من الشجرة المدح عند ربه، فكانت معصية استعجاله بالأكل بغير إذن صريح، فلذلك وصفه تعالى بأنه ظلوم جهول، حيث اختار لنفسه حالة يكون عليها دون أن يتولى الحق تعالى ذلك، ولذلك قال: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾(١)، وقال: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾(٢).

فقال الشيخ رضي الله عنه: هذا كلام مليح وفيه تأييد لآدم عليه السلام، وإقامة عذر له وحَجَّ آدمُ موسى، والله تعالى أعلم [أ١٣/ب].

[معنى نزول الحق تعالى في سحر كل ليلة]

٢٣- وسألته رضي الله عنه: عن معنى نزول الحق تعالى في الثلث الأخير من الليل كما ورد(٣).

فقال رضي الله عنه: هو بنفسه عليم، والعقول عاجزة عن أن تعقل ذلك، والقلوب الصافية مدركة ذلك التجلي من غير كيفية ولا إدراك.

فقلت له: رأيت في [ب١٧/أ] كلام بعض الكُمَّل أن المراد من هذه الأسماء قلب الكامل، وتجليه تعالى عليه.

قال: لأن الكامل محيط بكل شيء كإحاطة السماء، والحق تعالى لا تسعه سماؤه ولا أرضه ولا عرشه، ووسعه قلب عبده المؤمن(٤) كما ورد، ومرتبة القطبانية الإيمان لا الشهود، فلا يرى الحق إلا في الدار الآخرة، انتهى.

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٣٧ .

(٢) سورة الإسراء، آية: ١١ .

(٣) روي في صحيح مسلم ومسند أحمد عن أبي سعيد وأبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا فنادى: هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داعٍ؟ حتى ينفجر الفجر». (انظر: «الجامع الصغير» للسيوطي ١/ ٢٦٠ رقم ١٩٤١).

(٤) ورد في «كشف الخفاء» للعجلوني (٢/ ١٩٥): («ما وسعني سمائي ولا أرضي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن». ذكره في «الإحياء» بلفظ: «قال الله: لم يسعني سمائي ولا أرضي، ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع». قال العراقي في تخريجه: لم أر له أصلاً. ووافقه في الدرر تبعاً للزركشي. ثم قال العراقيُّ: وفي حديث أبي عتبة عند الطبراني بعد قوله: «وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين، وأحبّها إليه ألينها وأرقُّها». انتهى. وقال ابن تيميّة: هو مذكور =

فقال رضي الله عنه: إذا شهد فرد شيئاً فلا يعبر عنه بشيء لأن التعبير يفصل، والصمت في الشهود يوصل. والله تعالى أعلم.

[هل كثرة النوم من الغفلة؟]

٢٤- وسألته رضي الله عنه: عن كثرة النوم هل هي من الغفلة؟.

فقال: لا تلتفت إلى مثل ذلك إلا بقدر النسبة فقط، فإن من وقف الأسباب مع الحق تعالى أشرك، وما عليك في ذلك بأس، كن مع ربك كيف يريد هو لا أنت، وفي لمحة يقع الصلح، ولا ييأس [ب١٧/ب] من روح الله إلا القوم الكافرون(١). «ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون»(٢).

فقلت له: فكثرة السهر والقلق؟.

فقال: إن كان ذلك في فكر في منفعة فمدد وخير كثير، وإن كان في غفلة فهو بلاء ينزل، يوزعه الله تعالى على المؤمنين حتى يرتفع. والله تعالى أعلم.

[هل القمر آية شهود؟]

٢٥- وسألته رضي الله عنه: عن القمر هل هو آية شهود أو علم؟.

فقال: هو آية شهود، لدلالته على ظهور الأحدية وسريانها في العالم.

فقلت له: فإذاً الشمس آية علم لدلالتها على ظهور الوحدانية وإحاطتها بتكثرها؟.

فقال: نعم. والله أعلم.

= في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبيّ ﷺ... ومعناه: وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي. وإلا فمن قال: إن الله يحلُّ في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصّوا ذلك بالمسيح وحده، وكأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في الزهد عن وهب ابن منبه قال: إن الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش، فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب!! فقال الله: إن السموات والأرض ضعفن عن أن يسعنني، ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين...) انتهى.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

[الطواف حول الكعبة ليلاً]

٢٦- وسألته رضي الله عنه: عن الطواف بالبيت العتيق ليلاً.

فقال رضي الله عنه: لم يقع لي ذلك [أ١٤/أ] وأعوذ بالله منه، فإياك أن تطوف يا ولدي ليلاً إذا حججت، فقلت: إن أكثر الناس يطوفون ليلاً.

فقال: ليس عليهم بأس من ذلك لأنهم معذورون، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون(١)؟!. والله أعلم.

[شهود التجلي يوم المحشر]

٢٧- وسألته رضي الله عنه: عن الشهود في التجلي الإلهي يوم المحشر، ما الحال فيه؟.

فقال: هو قهر وبلاء وامتحان، فقلت له: إني أحب ذلك، لأن الشهود يمحق شهود الأغيار.

فقال: المواحق للأغيار هو القهر والبلاء والامتحان، فأين تذهبون «إن هو إلا ذكر للعالمين»(٢).

[البلوغ والإدراك في البرزخ]

٢٨- وسألته رضي الله عنه: عن البلوغ والإدراك في البرزخ، هل يكونان للإنسان لازمين كالحال هنا؟.

فقال: لا إنما بلوغ كل إنسان وإدراكه بحسب علمه وعمله، ويحشر على ما مات عليه. والله تعالى أعلم.

[هل في باطن المدح في الآيات شيء من الذم؟]

٢٩- وسألته رضي الله عنه: عن الآيات التي فيها مدح الإنسان، هل في باطن ذلك [ب١٨/أ] المدح شيء من الذم أم هو مدح خالص؟.

فقال رضي الله عنه: لا يصح للإنسان مدح خالص، فإنه لو خلص له المدح لما أقيمت عليه حجة أبداً عند الله تعالى، فكأنَّ لسان الحق تعالى يقول للإنسان إذا

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧].

مدحه: هل أنت متصف بما وصفتك به أم أنت مخالف لذلك الوصف؟ فإن كنت مخالفاً فمدحي لك كالتوبيخ في صورة مدح، فإياك والركون لذلك، وإن كنت موافقاً لما وصفتك به فهل أنت على علم أنك تموت على ذلك أم لا؟ فإن ادعيت أنك تموت على ذلك فقد أمنت مكر الله، «ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون»[(١)] وإن كنت على جهل من أنك تموت على ذلك، فقد عرضت نفسك لليأس من رحمتي، «ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون»[(٢)].

وقد سمعت سيدي إبراهيم [أ١٤/ب] المتبولي رضي الله عنه يقول: كان مدح مدحت به فهو في الظاهر مدح وفي الباطن ذم وتخويف، وكل ذم وصفت به ظاهراً فباطنه مدح [ب١٨/ب] ورجاء، هكذا حكمة الله في كلامه إلا في حق الأنبياء والرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام، لكونهم من عالم العصمة. فافهم والله أعلم.

[معنى يحشر المرء على دين خليله]

٣٠- **وسألته رضي الله عنه**: عن قوله ﷺ: «يحشر المرء على دين خليله»[(٣)]، هل الأمر فيه على العموم والإطلاق؟.

فقال: نعم ومن هنا وقع البلاء والخوف، فلا يكن خليلك إلا من كانت أوصافه حميدة عند الله تعالى.

[أكل طعام الصديق]

٣١- **وسألته رضي الله عنه**: عن الأكل من أطعمة الناس الذين بيننا وبينهم صداقة؟.

فقال: لا تأكل لأحد شيئاً ولو صديقاً إلا إذا علمت الحِلَّ في طعامه، وعلى ذلك يحمل قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ..﴾ [يوسف: ٨٧].
(٣) رواه الطيالسي وأحمد بن حنبل وابن أبي الدنيا في «كتاب الإخوان»، والحاكم عن أبي هريرة. (انظر: «كنز العمال» ٩/ ٢١ رقم ٢٤٧٣٢).

بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾[١] الآية، فيقيد هذا الإطلاق بالحل في طعامهم. والله أعلم.

[الدعاء على الظلمة الجائرين]

٣٢- وسألته رضي الله عنه: هل ندعوا على الظلمة إذا جاروا؟.

فقال: لا لأن جورهم لم يصدر عنهم أصالة، وإنما صدر عن المظلوم، فإنه ما ظلم حتى ظلم نفسه أو غيره، والحكام مسلطون بحسب الأعمال، إن لكم لما تحكمون، وإنما هي أعمالكم ترد عليكم، وفي الحديث: «الحاكم الجائر عدل الله في أرضه ينتقم به من خلقه ثم يصير إلى الله، فإن شاء عفا وإن شاء انتقم منه»[٢]. وربك فعال لما يريد وهو الغفور الودود. والله أعلم [ب١٩/أ].

[هل الاعمال الصالحة تعود على الكون بالنفع؟]

٣٣- وسألته رضي الله عنه: عن الأفعال المحمودة إذا وقعت وتكونت صوراً بحسب استعداد عاملها، هل يرجع نفعها على الكون كالحال في الأفعال المذمومة؟.

فقال: يرجع نفع الأعمال [أ١٥/أ] المحمودة (على الكون كله كما في الأعمال المذمومة، وأكثر نفع الأعمال المحمودة يرجع على فاعلها)[٣]؛ بخلاف المذمومة لا يحصل على العامل من ضررها[٤] إلا شيء يسير، فتذكرت قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾[٥]، وقد كنت سألت عن ذلك بعض علماء الشريعة وقلت له: ما الحكمة في كون البلاء عاماً والرحمة مختصة؟.

فقال: لأن ذلك هو اللائق بالجناب الإلهي لسعة الرحمة التي وسعت كلّ شيء، لأن البلاء لو نزل على العامل فقط هلك حالة النزول في لمح البصر، فكان

---

(١) سورة النور، آية: ٦١ .

(٢) في «كشف الخفاء» (١/ ٢١٣): «إنما السلطان ظلُّ الله ورمحه في الأرض»، رواه أبو الشيخ والديلمي والبيهقي وآخرون عن أنس مرفوعاً.

(٣) سقط ما بين الهلالين من (أ).

(٤) في (أ): منها من صورها.

(٥) سورة الأنفال، آيه: ٢٥ .

معظم الكون يذهب، لأن الخلق العاصين لا نسبة لأهل الطاعة معهم في العدد، فكان من رحمة الله تعالى توزيع ذلك البلاء على عموم المؤمنين، ليستمر لذلك [ب١٩/ب] الشخص فتح باب التوبة، وتبقى روحه حتى يتوب، ولو لم تبق لذهب إلى الآخرة بلا توبة، والحق تعالى يحب من عباده التوابين، لأنهم محل تنفيذ إرادته وإظهار عظمته وعموم رحمته، وهذا من سر تقابل الأسماء الموجبة للرحمة والموجبة للانتقام؛ كالرحمن مع الجبار، والغفور مع شديد الانتقام. انتهى.

فلما عرضت هذا الجواب على الشيخ قال: والأمر كذلك إلا أن هنا وجهاً آخر، وهو أن البلاء إذا نزل عاماً خفف الحق تعالى ذلك عمن لم يعمل، وثقل الأمر على من عمل، ليرجع عما هو مرتكبه، أو تذهب به يد الشقاء مرة واحدة إلى حيث شاء الله، نسأل الله العافية. فقلت له: فإذاً من عمل صالحاً فقد أحسن إلى جميع من في الوجود من الخلق، ومن عمل سيئاً (فقد أساء)[1] على جميع الخلق، فقال: نعم. والله أعلم [أ١٥/ ب].

[لماذا نور البرزخ كثيف غير شفاف؟]

٣٤- **وسألته رضي الله عنه**: عن النور الذي يكون في البرزخ، لمَ كان كثيفاً ولم يكن شفافاً كهذه الأنوار؟.

فقال: إنما كان كثيفاً لأنه نور أعمال الجوارح في دار التكليف، والجوارح والدنيا من عالم الكثافة. فقلت له: ويحتمل وجهاً آخر وهو أنَّ الظلمة تصيِّرُ الأنوارَ كثائفَ لتباينهما، فلذلك لم يكن نور البرزخ شفافاً.

فقال: هو صحيح والله [ب٢٠/أ] تعالى أعلم.

فقلت له: فهل يقع لكل أحد الاجتماع في البرزخ بمن يريده من نبي وولي؟.

فقال: البرزخ مطلق من حيث هو، وليس هو غير الدنيا وغير الجنة والنار لعمومه، لكن الحجب صيرت حاجزاً بين المحسوسات والمعقولات، فهذا هو البرزخ المطلق الذي انفتحت فيه صور الكائنات، ولا يزال الأمر كذلك دنيا وأخرى. وأما البرازخ فمتعددة بتعدد المظاهر الإنسانية، والمظاهر في البرازخ

(١) سقط ما بينهما من (ط).

متعددة حكماً لا محلاً، وهي مسجونة في برازخها بحسب أعمالها وسعة برازخها وضيقها وعلمها وذوقها وإحاطتها وعملها وقربها من أخلاق رسولها، فكل من كان واسعاً اندرج من هو أصغر منه فيه، والبرازخ النبوية واسعة، هذا بحسب مراتب الأنبياء وكمالهم، فكل نبي مشارك لكل من تبعه في برزخه، ولكن الحجب قائمة عند اتباعهم لانقطاع الاكتساب من الأعمال الصالحة عنهم، فمن شاء الله أطلقه ومن شاء قيده، ويفعل ما يشاء فإن الأمر هنالك كالأمر هنا، [ب٢٠/ ب] إلا أنه على غير الصورة التي هنا، فافهم.

[هل الاحتراف خير
أم الأكل من طعام الخيرين خير؟]

٣٥- **وسألته رضي الله عنه**: هل الأفضل اتباع المشايخ الذين أدركتهم، كالشيخ علي المرصفي والشيخ أبي السعود الجارحي والشيخ نور الدين الشوني وأضرابهم في [أ١٦/ أ] الأكل مما يفتح الله به من غير عمل حرفة؟ أم الأفضل عمل الحرفة؟.

فأجاب رضي الله عنه: من لا عمل له لا أجرة له، وبيانه: إن الأعمال والاكتساب من الأقوال والأفعال والأنفاس المحمودة من سائر العالم مديرة للفلك، وموجبة للأثر، بحسب تلك الأحوال، وبحسب نيات من ظهرت عنهم، فإذا ظهرت الآثار وتنزلت[1] على كل إنسان بحسب رتبته من تلك الأحوال، فكل من كان فعله أتقن وأكمل، كان فعله أسرع دوراناً للفلك، (وكل من كان عمله أنقص كان أبطأ دوراناً للفلك، ثم تتنزل الأمداد بحسب عمله)[2] وكل من كان عمله أتقن وأكمل كان يضاعف الحسنات له أكثر، ومن كان تاركاً للأسباب أصلاً دار الفلك بنصيب غيره، ولم يحصل له شيء من الأمداد، لكونه لم يعمل شيئاً، ومعلوم أن الحق تعالى لا نسبية بيننا وبينه في العطاء بلا عمل، لبراءته تعالى عن أن ينفصل منه شيء لنا أو يتصل به شيء منا، وإنما الأمر راجع هنا لنا بحسب أعمالنا، وهو الغني

(١) في (أ): نثرت.
(٢) سقط ما بينهما من (ط).

الحميد، ومن هنا عقب[١] موسى على الخضر عليه السلام حين أقام الجدار بغير أجرة لعلمه بهذا الأمر والرسالة وهباً لا كسباً، فأراد الخضر عليه السلام أن يجمع لموسى بين مرتبتي الكسب والوهب وهي مرتبة [ب٢١/أ] الكمل والأقطاب. والله تعالى أعلم.

[هل تفيد مصاحبة الكمل شيئاً؟]

٣٦- وسألته رضي الله عنه: عن مصاحبة الكمل من الأفراد، هل تفيد شيئاً؟.

فقال: إن تنزلوا[٢] من مقامهم للمريد انتفع بهم، وإلا لم ينتفع بهم، **فالإفادة** منهم بالأصالة مجهولة، وإيضاح ذلك أن رتبة الكامل التي أقامه الحق تعالى فيها ليست له، وإنما هي للحق، والكامل عبد لا يعترض على شيء من أفعال [أ١٦/ب] سيده، فهو لا ينفع ولا يشفع ولا يدفع ولا يعطي ولا يمنع إلا بإذنٍ خاص، وأنّى له بذلك؟ من شأنه أنه مع الله تعالى دائماً على قدر الخوف، لنظره إلى عالم المحو والإثبات والمصاحبة، تقتضي الميل إلى الصاحب ضرورة، والميل لا يخلو إما أن يكون لإثباتٍ أو نفي، وكلاهما ممتنع في حق الكامل، فمن قدمه الحق تعالى قدمه، ومن أخره الحق تعالى أخره، وإنما ذلك إضافة نسبية، ولا نسبة له [ب٢١/ب] في الإضافة.

فقلت له: فإذا وقع الإذن له كما تقدم بتقديم وتأخير، هل يفعل؟.

فقال: نعم، العبد من شأنه امتثال أمر سيده بالرضا والتسليم، ولو أقامه في وظائف الظلم، فإذا أمره الحق تعالى بمساعدة أحد في ولاية ساعده وعلمه أدب تلك الولاية، ويصير ذلك المتولي تلميذاً له بقدر ما تحقق به منه فقط، لأن ما كل أحد يقدر على أن يرث الكامل في جميع مراتبه، وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي[٣] رضي الله تعالى عنه يقول: وعزة ربي ليقتسمن وظائفي سبعون رجلاً ويعجزون عن القيام بها. والله تعالى أعلم.

(١) في (ط): عتب.
(٢) في (أ): تقولوا.
(٣) تقدمت ترجمته.

[التكليف بجمع بين الضدين! كيف ذلك؟]

٣٧- وسألته رضي الله عنه: عن التكليف، فإن فيه جمعاً بين ضدين من حيث كونه فاعلاً غير فاعل، فكيف الأمر؟.

فقال رضي الله تعالى عنه: الألوهية مطلقاً قابلة للجمع بين ضدين، فإنها قبلت التسمي بالمنتقم، وليست الألوهية أولى باسم المنتقم من غيره من الأسماء، فالحق تعالى إذا أمرنا بفعل شيء كأنه يقول: يا عبدي افعل، فإنك مأمور موجود، ولا ترى أنك فاعل، لأن الفعل لي وأنت معدوم محدث، وأنا الفعال لما أريد بفعلك لي، [١٧/أ] وفعلك لك لأني غني عنك وعن فعلي فيك، ولك ربك، فإن رأيت أنك فعلت فقد أشركت، وإن لم تر أنك فعلت فأنت كافر جاحد فاحذرني، وافعل كل ما [ب٢٢/أ] أمرتك به واشهد الفعل لي، ولا تنسب لنفسك فعلاً ولا أمراً إلا بقدر نسبة التكليف، لتشكر على الحسن وتستغفر من القبيح وأنا الخلاق العليم. والله تعالى أعلم.

[أي الصيغ بالصلاة على النبي ﷺ أولى؟]

٣٨- وسألته رضي الله عنه: عن الصلاة على النبي ﷺ، بالألفاظ المطلقة أو المقيدة، أيهما أولى في حق المصلي؟ وهل الإطلاق الذي يعتمد عليه في الصلاة مطلق عند الله تعالى؟ وهل التقييد الذي نتبرأ منه مقيد عند الله أو مطلق؟.

فقال رضي الله عنه: لا تستعمل نفسك في شيء من حيث نظرك إلى إطلاقه وتقييده، فإن الإطلاق غايته التقييد، كما أن التقييد غايته الإطلاق، مع علمنا بأن الأقوال الموصوفة بذلك غير مفتقرة إلى وصفنا لها بالإطلاق، لاستغنائها بصفاتها الذاتية التي جعلها الحق لها حداً تتميز به عن غيرها، ونحن لا اطلاع لنا على حقائق الذوات لنعرف ما تستحقه من الصفات المقتضية لذلك أو لغيره، وكيف يمكن لأحد إيجاد العدم وقيامه بالوجود، وذلك خصيص بالجناب الإلهي، أم كيف نحكم على الصفات التي هي أعراض ببقائها زمانين في جوهر واحد، كذلك نقول في الصلاة على النبي ﷺ، فإذا قال المصلي على النبي ﷺ: اللهم صلِّ على سيدنا محمد عدد ما كان، وعدد ما يكون، وعدد ما هو كائن [١٧/ب] في علم الله فقد استغرق هذا

اللفظ والعدد والمعدود حساً ومعنىً، واستغرق أيضاً الزمن المطلق بأقسامه وكذا المستحيلات المضافة إلى القدرة والعلم، فإذا كرر المصلي الصلاة على النبي ﷺ مرة أخرى، فعلى أي عالم [ب٢٢/ب] يقع مع الاستغراق المطلق، وإذا لم تساو رتبة المصلي هذا العموم والشمول لضيقه وحصره وتقييده، فكيف يظهر عنه إطلاق؟ والأعمال كلها لا تكون إلا على صورة عاملها، قال ﷺ: «الولد سر أبيه»(١) فمن علم ذلك وتحققه علم أنه لا يظهر من عامل عمل ولا قول ولا صلة ولا قراءة ولا وصف من الأوصاف إلا بحسب استعداده في ذلك الوقت، وبحسب حقيقة رتبته في التوحيد إطلاقاً وتقييداً، سواء كان ذلك اللفظ مطلقاً أو مقيداً، وصلِّ على نبيك كما أمرك الله أن تصلي عليه لتكون عبداً محضاً؛ أمرك ربك بأمر فامتثلت أمره، وكذلك فليكن فعلك في جميع عباداتك البدنية والقلبية. والله تعالى أعلم.

[التفكر والتدبر في القرآن]

٣٩- **وسألته رضي الله عنه**: عن التفكر والتدبر في القرآن، هل يصح بغير آلة من العلم كما هو الأمر عند فقهاء الزمان؟.

فقال رضي الله عنه: العقل هو آلة الحق(٢) التي جعلها قاطعة بحدها كل شيء، والتفكر والتدبر صفة من صفات العقل، والقلب وعاء ذلك كله، وإصلاح الطعمة أصل ذلك وغيره، فإن الإناء إذا كان شفافاً كزجاج وبلور وياقوت ظهر ما فيه على صورة [ب٢٣/أ] الإناء ولونه واستدارته وتربيعه وغير ذلك، وإذا كان الإناء كثيفاً كالخشب والحديد والفخار [أ١٨/أ] لم يظهر لما فيه صورة ولا لون ولا يعرف له

---

(١) في «كشف الخفاء» (٢/ ٢٣ رقم ٢٩١١): «الولد سرّ أبيه». قال في «المقاصد»: لا أصل له، وكذا قال في «الدرر» تبعاً للزركشي، وقال الصغاني: موضوع، وقال الديريني: إن الولد إذا كبر ربما يتعلّم من أوصاف أبيه ويسرق من طباعه، بل قد تصحب رجلاً فتسرق من طباعه في الخير والشر، وما أحسن ما قيل:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقيل:

بأبه اقتدى عديٌّ في الكرم ... ومن يشابه أبه فما ظلم

انتهى.

(٢) في (أ): العقل بدلاً من الحق.

حقيقة ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١)، وهذه الآلة إذا طبع فيها الخير والشر دام مكثه ما لم تتغير(٢) هذه النشأة من أصلها وطبعها وغير ذلك، وهذا غير ممكن أصلاً، لأن القدرة والإحاطة تابعان للصور قبل تكوينها إلا بعده، وهذا سر من لم يشهده لم يعرفه، ومن هنا يتحقق بسر القبضتين بعد انقضاء الأجل الموعود به. وأطال في ذلك [ب٢٣/ ب].

ثم قال: وبالجملة: فكيفما كان القلب متحققاً بالصورة التي هي حقيقته كان ما فيه كذلك، فالحكم دائماً للقلب على القلب والروح وصفاتها، كما أنه محكوم عليه إصلاح الطعمة وفسادها، وقد أشار إلى ذلك قوله ﷺ: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»(٣)، فتأمل كيف أتى فيه بلفظة كل التي تقتضي حصر المجموع تعرف ما ذكرناه، فالقلب إذا صلح كان بيت الله والملك، وإذا فسد كان بيت الشيطان والهوى، فلا يقبل البيت إلا ما شاكله، فافهم. وكما أن الأحرف وعاء للمعاني، فكذلك القلب وعاء لمعرفة الحق، وكما أن الحرف إذا تغير بعض صورته أو صفته فسد ما فيه، فعلم أن ليس لنا آلة يحصل بها العلم بالله وبالكون إلا العقل، وبغير ذلك لا يمكن تحصيل علم أبداً؛ كما أنه لا يصح دخول البيت من غير باب، فافهم وتأمل فيه تفز بما تحبه، والله تعالى أعلم.

[لذة العلوم في القلب]

٤٠- **وسألته رضي الله عنه:** عن لذة العلوم عند إيجادها في القلب قبل أن توجد في النفس، هل هي مفنية(٤) [أ١٨/ ب] للإنسان عن حسه كالأمر في النفس أم لا؟.

فقال رضي الله عنه: إذا كان القلب وسع الحق، فكيف لا يسع نفسه وما ظهر

(١) سورة المطففين، آية: ١٤ .

(٢) في (ط): تتغيت.

(٣) عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (١/ ٢٩٢ رقم ٢١٧٩) إلى الشيخين في صحيحيهما والسنن الأربعة عن عبد الله بن مسعود.

(٤) في (أ): مغنية.

عنه ومنه، فقلت له: عالم [ب٢٤/أ] الغيب أوسع من عالم الشهادة الذي هو العين، والحكم دائر مع العين لا تفترق؛ كما لا تفترق لا إله إلا الله من محمد رسول الله ﷺ.

فقلت له: فما الحكم في الإفاضة على النفس؟.

فقال: بحكم استعدادها وقربها من عالمها الأول، أو بحكم تقييدها وعدم استعدادها وضعفه، وبعدها من عالمها الأول.

فقلت له: فلا بد من الفرق.

فقال: فرق بلا فرق، كخطاب قلبك لنفسك وأنت أنت وهما عين نيتك، فافهم.

[العلوم المتولدة عن الفكر]

٤١- **وسألته رضي الله عنه:** عن العلوم المتولدة عن الفكر، هل هي مستقيمة في نفسها أم لا؟.

فقال رضي الله عنه: الحكم في ذلك للوقت، وعلم الوقت يذهب بذهابه، والذهاب عدم العدم، فلا حكم له ولا عليه، فقلت له: هذا إذا كان الفكر بتفكر، فأما إذا كان الفكر عن وقع في القلب في الوقت، فذلك إلهام.

فقال لي: بشرطه، ففهمت مراده. والله أعلم.

[واردات العلوم على القلب]

٤٢- **وسألته رضي الله عنه:** عن بقاء العلوم في لوح النفس والإدراك لها، كيف صح [ب٢٤/ب] مع كثرة واردات العلوم الفياضة على القلب؟.

فقال رضي الله عنه: العلم صفة، وبقاء العلوم إنما هو لأجل حفظها في الصورة التي ظهرت عنها، أعمالاً وأقوالاً وأنفاساً، حالة وجودها، والمدرك لها إنما هو بالصفاء الذي هو نور القلب المطلق. والله أعلم [أ١٩/أ].

[العلم قد يكون حجاباً]

٤٣- **وسألته رضي الله عنه:** عن معنى قولهم: العلم قد يكون حجاباً، والجهل قد يكون علماً.

فقال رضي الله عنه: العلم صفة، وركونك إليه صفة، والصفة مع أخرى لا توجب نتيجة، كالحكم في الأنثى مع الأنثى، وأما قولهم: الجهل قد يكون علماً، فذلك عند الحيرة، فإن العجز في الحيرة قد يكون علماً، كما سموا العجز عن معرفة النفس علماً بها، قلت: ورأيت في كلام الشيخ محيي الدين ما نصه: إنما كان العلم حجاباً ـ يعني عن معرفة الذات ـ لأنه دائماً متقدم الرتبة على صاحبه، وصاحبه خلف علمه لا يمكنه أن يتقدمه أبداً، فهو دائماً حجاب على صاحبه، مانع من معرفة الذات، فما عرف من الذات إلا العلم لا صاحبه[١]. انتهى. والله تعالى أعلم.

[التفكر في القرآن]

٤٤- وسألته رضي الله عنه: عن التفكر في القرآن هل هو كالتفكر في غيره؟.

فقال: هو بحسب قوة الآلة في القطع، وصلابة المقطوع ولينه، ولم يزدني على ذلك. والله أعلم [ب٢٥/أ].

فقلت له: فلم كان التفكر للمبتدي ينفعه؟ ولمن هو أكمل منه يضره مع أن الحال في ذلك عند المسلكين وغيرهم بالضد من ذلك.

فقال رضي الله عنه: القلب والنفس وغيرهما من المعاني الباطنة تألف صفاتها[٢]، وإذا ألفت التفكر ولّدتْ وهماً، والوهم يولد خيالاً، والخيال مع التفكر يولد علماً، والعلم يولد يقيناً، فلا يزال المريد يترقى بهمته إلى غاية ما قسم له، وأما الكامل فليس كذلك فيما ذكرناه، بل يدرك في الزمن الفرد من العلوم ما لا يشاهد ولا يعلم، ولا يوصف ولا يحصر، مع أنه لا التفات له إلى ذلك، فإن التفاته إليه يشغله [أ١٩/ب] عن عبوديته التي خلق لها، ولا يليق بعاقل أن يشتغل بصفات نفسه عما يراد منه في ذلك الوقت، لأنه يعلم أن جميع ما ظهر له من المعارف والأسرار إنما هو صفة له، وتحصيل الحاصل فوت، ومن كلام سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه: العاقل من استعمل نفسه عند مولاه فيما يليق بها، فإنها

---

(١) انظر «الفتوحات المكية» (١/٤٠٨).

(٢) في (أ): يألفان صفاتهما.

ما ظهرت إلا وهي مرادة للعمل بها باطناً، وإنما دفعها إلى الظاهر قوة الاستعداد وأطال في ذلك(١).

[دخول الشخص في مواضع التهم]

٤٥- **وسألته رضي الله عنه**: عن دخول الشخص في مواضع التهم، هل يؤثر ذلك [ب٢٥/ب] في الكامل؟.

فقال رضي الله عنه: نعم، ومن فعل ذلك أتلف أتباعه، وكل من ملك نفسه خاف من مواضع التهم أكثر مما يخاف من وجود الألم، فإن مواضع التهم توجب سقم القلب، كما توجب الأغذية الفاسدة سقم البدن، وسقم البدن أطباؤه كثيرون بخلاف سقم القلب، فإن أطباءه قليلون، فإياك يا أخي ومواطن التهم، فإنها تحكم عليك ولو كنت بريئاً، كما تحكم الشمس بضيائها وحرها على الظلمة والأمكنة بتنويرها وحرارتها، وهما بريان من النور والحرارة. (فتأمّل ذلك)(٢).

[الرزق المجبى إلى الحرم مقيد أم مطلق؟]

٤٦- **وسألته رضي الله عنه**: عن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾(٣)، هل هذا الرزق مقيد؟ أم لكل من دخل هذا البلد؟.

فقال رضي الله عنه: اعلم أن أكمل البلاد البلد الحرام، وأكمل البيوت البيت الحرام، وأكمل الخلق في كل عصر القطب، فالبلد نظير جسده، والبيت نظير قلبه، وتتفرع [أ٢٠/أ] الأمداد عنه للخلق بحسب الاستعدادات، وإنما كان هذا مخصوصاً بهذا البلد لأن الأمداد لا تنزل على قلب أحد إلا بعد تجرده عن حسناته وسيئاته، فيولد هناك ولادة [ب٢٦/أ] ثانية، كما أشار إليه الحديث أنه: «يخرج من ذنوبه

---

(١) انظر للشيخ إبراهيم المتبولي رحمه الله تعالى أيضاً في كتاب «الأخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمدية» من تأليف الشيخ عبد الوهاب الشعراني (ص ٢٤٦، ٢٧٢، ٢٩٠، ٢٩٣)، وأماكن أخرى. ط دار الكتب العلمية، تحقيق الشيخ أحمد المزيدي.

(٢) سقط ما بينهما من (ط).

(٣) سورة القصص، آية: ٥٧ .

كيوم ولدته أمه(١). وحينئذ لا تسمى الذنوب بالنسبة إلى ذلك المحل الأقدس.

فقلت له: التجريد عن السيئات محله الموقف بعرفات كما ورد، فالتجريد عن الحسنات أين يكون محله؟.

فقال: هو بحسب المراتب، ولم أر ذلك إلا في باب المعلاة. فقلت له: فهل ذلك لا يدركه كل حاج؟.

فقال: نعم، ولا يشعر بذلك إلا من كان متمكناً عارفاً. فقلت له: فمتى يكون الثالث؟.

فقال: عند قبره ﷺ. وذلك ليظهر له الحق تعالى كرامته وظهور نعمته على أمته فتقر بذلك عينه. فقلت له: فإذاً التجريد الأول إنما كان استعداداً.

فقال: نعم إلا أن بعض الناس الغافلين يرون نفوسهم هنالك قد لا يفتح عليهم بشيء. فيرجع إلى بلاده عرياً من الخير. فلا يراه ولي إلا عرف حاله فيمقته، فلا يزال كذلك حتى يتعطف الحق تعالى عليه بالرحمة، وربما مات بعضهم ممقوتاً، نسأل الله العافية.

فقلت له: فمن رجع إلى بلاده بالفتح [ب٢٦/ب] المحمدي وثمراته، هل يقع له بعد ذلك سلب أو لا؟ إذ هو هبة وعطاء له بحضرة رسول الله ﷺ.

فقال: قد يقع السلب في مثل ذلك تأديباً له حين يقع فيما لا يليق برتبته، ثم إنه يعود له إذا بلغت العقوبة حدها، فقلت له: وما حدها؟.

فقال: أن يأخذ في الذل والمسكنة والإنابة إلى الله تعالى [أ٢٠/ب] وتبرز آثاره وقربته. ولا يصير يرى نفسه على أحد من المسلمين، فقلت له: فمن أكثر الناس سلباً؟.

فقال: أهل الجدال لرؤيتهم نفوسهم على الناس، ودعواهم صحة حجتهم وامتحانهم بالشر، ويؤذون غيرهم من الفقراء والعارفين وكمل المؤمنين. فقلت له: فمن أكمل الناس فتوحاً؟.

---

(١) روى البخاري وأحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه». «الجامع الصغير» (٢/ ٥١٣ رقم ٨٦٢٦).

فقال: العارفون، فإنهم كلما علت معارفهم وكثرت علومهم هضموا نفوسهم ورأوا نفوسهم أحقر الخلق أجمعين، وذلك لعلمهم بأن العلوم والمعارف صفات، والصفات تؤخذ من ذات وتعطى لذات أخرى، فلا اعتماد لهم على علم ولا معرفة دون الحق تعالى، فقلت له: فهل القطب بمكة على الدوام كما يقال؟.

فقال رضي الله عنه: قلب القطب طواف بالحق الذي وسعه، كما يطوف الناس بالبيت، فهو يرى وجه الحق في كل جهة، ومن كل جهة، كما يستقبل الناس البيت [ب٢٧/أ] ويرونه من كل جهة ووجه، لأنه متلق عن الحق تعالى جميع ما يفيضه على الخلق، وهو بجسده حيث أراده الله تعالى.

فقلت له: الكامل لا ينتقل بجسده لسفر أو غيره، إلا كأمثال الناس، فكيف ينتقل القطب بحكم خرق العادة؟!!.

فقال: الرتبة تحكم عليه بذلك، وإذا حكمت الرتبة على كامل، فلا تؤثر في كماله، فإن الكمال هو الرتبة. فاعلم ذلك(١).

[مراقبة الحق تعالى]

٤٧- وسألته رضي الله عنه: عن المراقبة للحق تعالى على التجريد عن رؤية الأسباب والأكوان، هل هي أتم من المراقبة للحق تعالى في جميع الحالات، من غير تجريد ولا رؤية؟.

فقال رضي الله عنه: المراقبة لله تعالى عيناً لا تصح، لأن المراقب ما راقب إلا ما تخيله في نفسه، وتعالى الله عن ذلك، فما راقب المراقب أو أنس إلا بما من الله [أ٢١/أ] لا بالله، فافهم. وأطال في ذلك.

ثم قال: واعلم أن المراقبة من حيث هي تنشأ عن إصلاح الجسد بواسطة القلب، كما أن إصلاح القلب بواسطة إصلاح الطعمة، وكما أن إصلاح الطعمة بواسطة الكسب في الكون مع التوكل على الله تعالى، فإن التوكل هو عين المراقبة. وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: المراقبة لله تعالى تكون من الله

(١) انظر للشيخ إبراهيم المتبولي في كتابه «الأخلاق المتبولية»: (ص ٨٢، ٩٠، ١٣٥، ٢٠٠، ٢٣١، ٢٩٥، ٣٠١) وغيرها.

ابتداء، ومن العبد [ب٢٧/ ب] في النهاية اكتساباً، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟!»[١]، ولم يقل شاكراً، فلتحققه بالعلم هو شاكر، ولتخلقه بالعمل هو شكور، وفرق كبير بينهما.

فقلت له: فالتجريد عن رؤية الأسباب لا يكون إلا في عالم الخيال لأنه أفاد العلم، والتجريد مع الاكتساب لا يكون إلا في عالم الشهادة لأنه أفاد العمل.

فقال: نعم. فقلت له: فالعلم إنما هو ظهور صورة العلم لا غير، فأي فرق؟.

فقال: تعلمه كما علمت بالله كل شيء، فقلت له: لا بد من بيان، فقال: أنا وأنت تمييز عن البيان، والبيان لما لا بيان له لا فائدة فيه، ولو أن إنساناً عبر عنه بعبارة، فلا تطيق القلوب تمسك ذلك لأنه غير مألوف ولا مشهود، وأطال في ذلك.

[مألوفات النفوس والركون إلى عالم الغيب]

٤٨- وسألته رضي الله عنه: عن مألوفات النفوس والركون إلى عالم الغيب والشهادة، وما فيهما من الأسباب والوسائط المطلقة والمقيدة، لمَ كانت أكثر من الركون إلى الحق، مع أنه أقرب إلينا من كل شيء إلى نفسه؟.

فقال: لكون صفاته وأسمائه حكمت لنفسها بذاتها أنها قوى كل موجود وروحه، غيرة منها أن يوجد معها غيرها بالعدم المطلق [أ٢١/ب]، والعدم هو الغير حقيقة، ومن هنا يعلم الفرق بين الألوهية والربوبية، وبين [ب٢٨/ أ] العدم والحدوث، وبين العبد وذلته، وبين الرب وقدرته، وبين الروح والجسد، ويعلم الفرق بين كل شيء، كما هو توحيد أكابر الرجال[٢]. والله أعلم.

[هل تؤثر الطعمة في القلب]

٤٩- وسألته رضي الله عنه: عن الطعمة هل تؤثر في القلب أكثر مما يؤثر السالب؟.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٢ رقم ٢٨٢٠).

(٢) قال الشيخ الأكبر: (القدرة والإرادة تنافي التوحيد، فإنَّ التوحيد لا غير، وهو غير مقدور، ولا مراد، فبطل توحيد الوجود، لأن توحيد الفعل ثابت.. من وحده به فما وحده، ومن وحده بنفسه فإنما وحده نفسه.. التوحيد نفي التوحيد والتشريك، فيبقى هو كما ينبغي له..) انتهى. من رسائل ابن عربي (ص ٨٤-٨٥).

فقال: نعم، إلا أنه إذا استمر توجه القلب إلى الحق في كل حركة وسكون من غير علة فباب الفتح موجود ولا بد، وما دام العبد متوجهاً فالمدد فياض على قلب من أريد له الكمال.

[ركون النفس إلى خرق العوائد]

٥٠- وسألته رضي الله عنه: عن ركون النفس إلى خرق العوائد.

فقال: من سوء الأدب أن يألف العبد النعمة دون المنعم بها، فإنه تعالى ما أعطاك النعمة إلا لترجع بها إليه عبداً ذليلاً؛ ليكون لك رباً وكفيلاً، ومعلوم أن الحق لا يكون رباً إلا لمن كان له عبد، فإنما هو عبد نفسه أو عبد دنياه ودرهمه، فانظر بأي شيء استبدلت ربك ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ [ب٢٨/ب] ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[1]. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] وأطال في الاستدلال، ثم قال: وبالجملة فجميع المألوفات من جليل وحقير دون الله مذموم.

فقلت له: كلُّ ما دون الحق تعالى مجهول ومعدوم، والحق معروف موجود، فكيف تألف أو تركن إلى الجهل والعدم دون المعرفة والوجود؟.

فقال: الجهل والعدم أصل [أ٢٢/أ] لظهورنا، والمعرفة والوجود أصل لظهور الحق، وما حصل بأيدي عباده من المعرفة والوجود ففضل ورحمة، وما حصل بأيدي عباده من الجهل والعدم فعدل ونقمة، ولا يظلم ربك أحداً. «ثم إلى ربهم يحشرون»[3]. والله تعالى أعلم.

[هدايا وأطعمة من الأحباب، هل نأكلها؟]

٥١- وسألته رضي الله عنه: عن الأطعمة التي يرسلها إليَّ بعض الإخوان[4]

(١) سورة البقرة، آية: ٦١.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

(٤) إن الشعراني لما سأل شيخه هذا السؤال كان سؤاله قديماً، وكان أهل الله تعالى ينتبهون لمسألة الأكل وحلّيته وعدم حمله لشبهة منذ زمن بعيد، يروي الإمام القشيري في رسالته (ص ٤٥) عن =

ممن لا يتورّع عن شيء يأتيه من الولاة، هل آكل منها أم أردها أم أقبلها وأفرقها على المحتاجين؟.

فقال رضي الله عنه: العبد لا ينبغي أن يكون له مع الله اختيار عند وجود المختار، فكيف يكون له اختيار مع عدم المختار، فكل مما يرسله الله تعالى إليك بقدر حاجتك ولا تزد على ذلك، وأعطِ ما زاد على حاجتكم لمن أراد الله تعالى، ولا تدبر لنفسك حالاً [ب٢٩/أ] محموداً عند نفسك، تخرج عن رتبة المحققين، واسأله أن يدبر لك بأحسن التدبير، فقلت له: فهل أسأله أن يرزقني حلالاً؟ فقال: نعم.

وقال: اللهم بارك لي فيه واسترني به في الدنيا والآخرة يا جواد يا كريم، ثم قال: إياك والجزع في مواطن الامتحان، فقلت له: الصبر لا يكون إلا باستعداد، فقال: لا تقييد فإن الطرق إلى الله واسعة، والاستعداد طريق واحد، ومن سلّم أمره إلى الله رزقه العلم والعمل حتى يكون إماماً، والله على كلِّ شيء قدير.

[الشيخ والمريد والعلاقة بينهما]

٥٢- وسألته رضي الله عنه: عن المريد، هل الأولى له أن ينزل جميع مهماته على شيخه أم يتحمل أموره عن شيخه(١)؟.

= الإمام أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله تعالى، أنه كان إذا مدَّ يده إلى طعام فيه شبهة تحرّك على إصبعه عرق، فكان يمتنع منه... ويحكى عن الجنيد أنه قال: مرّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال: نعم. فدخلت الدار، وطلبت شيئاً أقدّمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليّ من عرس قوم، فقدّمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرّات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز، ومرّ. فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك! فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أسرّك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله سبحانه علامة، أن لا يسوّغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكّنني ابتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام؟ فقلت: إنه حمل إليّ من دار قريب لي من العرس، ثم قلت: تدخل اليوم؟ فقال: نعم، فقدّمت إليه كسراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمت إلى فقير شيئاً فقدّم إليه مثل هذا). انتهى.

(١) جاءت صيغة السؤال في (أ) كما يلي: هل الأولى له أن يتحمل عن شيخه كلما قدر عليه، ولا يحمل شيخه إلا ما عجز هو عنه؟.

فقال رضي الله عنه: الأولى أن يتحمل عن شيخه كل ما قدر عليه ولا يحمل شيخه إلا ما عجز [٢٣/أ] هو عنه لئلا تألف نفسه الراحة في الدنيا فيتلف بالكلية، وشيخه ليس بمقيم له، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال لمن سأله مرافقته في الجنة: «أعني على نفسك بكثرة السجود»[١]، فقلت له: فإذاً ليس له أن يتوجه [ب٢٩/ب] بشيخه إلا في المساعدة له فقط؟ فقال: نعم «إياك نعبد وإياك نستعين»[٢].

وقد رأى أخوك أفضل الدين[٣] في المنام أنه مات وأنا حامل نصفه، وهو حامل نصفه الآخر، فقلت له: التقصير منك الذي لم تحمل نصفك الآخر، فإن من احتاج إلى غيره فهو ناقص، إلا إن كان عاجزاً العجز الشرعي.

[الميزان التي يوزن بها الرجال]

٥٣- **وسألته رضي الله عنه**: عن الميزان التي يوزن بها الرجال؟.

فقال: هي وهب وكسب القلب بالقلب، والبصر بالسمع، وهما بالقلب، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٤] عجب من ستر لا يحجب، وعدم الحجاب حجاب، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٥]، على أن أصل الميزان واحد وإن جمعه الله تعالى في نحو قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[٦] كما أن أصل الإسلام واحد مع أنه بني على خمس فافهم.

[غلبة الحال على صاحبه نقص أم كمال؟]

٥٤- **وسألته رضي الله عنه**: عن ملازمة غلبة الحال لصاحبه، هل هي نقص أو كمال؟.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (رقم ٤٨٩) عن ربيعة الأسلمي.
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].
(٣) أفضل الدين بن أحمد الشعراني شقيق الشيخ الشعراني. وستأتي ترجمته لاحقاً.
(٤) سورة مريم، آية: ٣٨.
(٥) سورة ق، آية: ٣٧.
(٦) سورة الأنبياء، آية: ٤٧.

فقال: نقص، لأنه كلما خف الحال وأبطأ وجوده كان في حق صاحبه خيراً كثيراً، وأين الحاضر من الغائب؟ وأين الموجود من المعدوم؟ فقلت له: **فهل غيبة الحال عن صاحبه [ب٣٠/أ] أكمل في المعرفة؟**.

فقال: المعرفة نتيجة الثوب، ونتيجة لابسه، وإذا سلم من الآفات والقواطع وحال عن الحال بملكه للحال كان نفسه حالاً، لا صاحب حال، وحينئذ يسمى عبد الله، إن شاء صرفه في ملكه، وإن شاء قبض عنه التصريف، وإن شاء كشف له عن ملكوت السموات والأرض، وإن شاء لم يكشف له، إلا أنه لا يخرج من الدنيا حتى يتساوى مع أهل الكشف بالكشف في الكشف، فما هو إلا تقديم وتأخير لا غير، ثم قال: وأما نحن وأمثالنا فلا كشف محسوس ولا حس معقول، ولا عقل ولا نقل ولا وصف لنا إلا العقل الملازم لنا في رتبة الإيمان العاري عن الدليل بالمدلول والبرهان. والله تعالى أعلم.

[هل على العبد من ضرر إذا أعطي الأمان من سوء الخاتمة؟]

٥٥- **وسألته رضي الله عنه**: عن العبد إذا أعطاه الله تعالى الأمان من سوء الخاتمة، أعليه ضرر؟.

فقال: علمه باليقين في ذلك يوجب الخوف عليه من سوء الخاتمة [ب٣٠/ب]، فإنه ما علم حقيقةً إلا يقين نفسه، فعلمه علم الوقت، يذهب بذهابه، ولا وصول له إلى يقين ما يحكم فيه الحق تعالى قبل وبعد، إذ لا تقييد عليه تعالى، ومن أمن من سوء الخاتمة فقد قيد عليه سبحانه بأنه لا يغير ما فعله، ومن أين للعبد علم بذلك، بل لو قدر أن الله كلم عبداً بلا واسطة وأقسم عليه بنفسه تعالى أنَّه لا يمكر به وأنَّه سعيد، فلا ينبغي [أ٢٣/ب] للعبد أن يركن إلى ذلك، لأنه تعالى واسع عليم، ولا علة لثوابه أو عقابه في نفس الأمر، كل يوم هو في شأن، ولولا الأدب لقلنا: كل لمحة أو طرفة له شؤون لا تحصى «إن كنت قلته فقد علمته»[1] وهو على كل شيء رقيب.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦].

[التوحيد، ما هو؟]

٥٦- وسألته رضي الله عنه: عن التوحيد ما هو؟.

فقال: عدم، قلت: ووجود؟ قال: ووجود، فقلت: فإذاً العادم وجود والوجود عدم، فقال: نعم، فقلت: فقد انعدم العدم، لأنه عدم والعادم لا يعبر عنه، ولم يبق إلا وجود، كما كان، وهو الآن على ما عليه كان. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[١].

[الاسم والرسم، ما هما؟]

٥٧- وسألته رضي الله عنه: عن الاسم والرسم، هل هما حرفان؟ أو حرف ومعنى؟.

فقال: المعنى لا يقوم إلا بالحرف، والحرف قائم بالله، فهو غني عن المعنى، فقلت: فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢].

فقال رضي الله عنه: قد عقبها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٣]، فقلت له: الذي عندي أن اسم الجلالة الأولى هو المعنى، والاسم الثاني هو الحرف، ولذلك قال: ﴿هُوَ [ب٣١/أ] ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾، فقال: لا أعلم الآن أن أحداً من العارفين علم ذلك غيرك، فقلت: الحمد لله رب العالمين.

[زيارة قبور الصالحين]

٥٨- وسألته رضي الله عنه: أنا وأخي أفضل الدين أن نذهب إلى القرافة[٤] نزور الصالحين.

---

(١) راجع الحاشية (تحت الفتوى رقم ٤٨)، وكانوا يقولون: كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان. وراجع «الجواهر والدرر الكبرى» (فقرة ٨٤)، بتحقيقي، ط دار التقوى بدمشق.

(٢) سورة فاطر، آية: ١٥ .

(٣) سورة فاطر، آية: ١٥ .

(٤) القرافة سفح جبل المقطم فيه مقبرة واسعة، دفن فيها عدد من العلماء والأولياء والصالحين، منهم ابن الفارض. قال سبط ابن الفارض: =

فقال: ما معكما دستور[١]، فإن أصحاب النوبة اليوم من بلاد الشرق ما هم من أهل مصر، فنسينا قول الشيخ وذهبنا، فحصل لنا انحراف في القلب ما كنا إلا هلكنا، فأما أنا ففارقته من نواحي شون السلطان[٢] بمصر العتيقة [أ٢٤/أ]، فلقيني واحد منهم، فما كانت روحي إلا زهقت، وأما أخي أفضل الدين فاجتمع بأربعة نفر منهم، على الهيئة التي كان وصفها لنا الشيخ، فمنهم اثنان سألا له العافية، والآخران حصل منها المثاقلة، فقال: لهما الله ورسوله أقوى منكما، فذهبا، فلما رجعنا حكينا للشيخ ذلك، فقال: الحمد لله [ب٣١/ب] الذي ما صدفكما إلا هؤلاء، ولو أنه صدفكما أحد من كبار أصحاب النوبة لهلكتما، لأنه لا طاقة لأحد بهم، فلو توجهوا إلى جبل لهدموه[٣].

فقلت له: فما يخلصنا من أصحاب النوبة إذا مررنا بهم في أدراكهم وأخطاطهم؟.

فقال: الأدب إذا خرج أحدكم إلى مكان خارج داركم فليقل دستور يا أصحاب الخط الفلاني، وليحذر أن يلهو أو يلعب أو يمزح، لأنهم يحبون من يحفظ معهم الأدب، فمن ذلك اليوم ما خرجت إلى مكان بعيد إلا قلت دستور يا أصحاب النوبة، وغفلت مرة تجاه البيمارستان فأحسست بنفسي كان ورائي تمساح كبير يريد أن يبتلعني، فالتفت فإذا شخص منهم أشعث الرأس كأنَّ عينيه جمرتان، فقال: اصح لنفسك وتركني، فالحمد لله رب العالمين.

[أدب رفيع مع الله تجاه خلقه]

٥٩- وسألته رضي الله عنه: هل أتكرم وأوثر أهل القلة، أم أتأدب مع الله تعالى الذي أفقرهم؟.

= جز بالقرافة تحت ذيل العارضِ — وقل: السّلام عليك يابن الفارضِ
أبرزت في نظم السّلوك عجائباً — وكشفت عن سرّ مصونٍ غامضِ
وشربت من بحر المحبة والولا — فرويت من بحر محيط فائضِ

انظر: شرح ديوان ابن الفارض، (ص ٦).

(١) أي إذن بالزيارة.

(٢) شون السلطان: مكان قريب من القاهرة، وهو حي من أحياء القاهرة القديمة.

(٣) في (أ): لهدّوه.

فقال: الأدب أرجح عندي، فإنه ما أفقر غنياً إلا لحِكَم أراد إظهارها، فلا تجهل، فإن كل ما في الوجود بمرأى من الله تعالى ومسمع، فأصحبه تعالى بالأدب معه ومع مصنوعاته بما هي عليه في تلك الحالة التي شهدتها [أ٢٤/ب]، ولا تطلب نقلها عن تلك الحالة بغير إذن صريح منه، وربما خالفت الأدب وطلبت أن تغني من أفقره الله، فيحول تعالى ذلك الحال إليك، وينقلك عما تحبه وترضاه إلى ما لا تحبه وترضاه، كما طلبت أن تنقل ذلك العبد عما أحبه الله ورضيه له، ثم إن عفا عنك ولم يعاقبك فقد يكون ذلك [ب٣٢/أ] العفو استدراجاً لك من حيث لا تشعر فتهلك مع الهالكين.

[الاستئذان باتباع الشيخ المسلّك]

٦٠- **وسألته رضي الله عنه**: هل أصحب أحداً من مشايخ العصر لآخذ عنه الأدب؟.

فقال: لا تفعل ذلك في حياتي أبداً، وأما بعد موتي فإن وجدت أحداً مخصوصاً بالبلاء من الكمل فاصحبه وشاركه في البلاء الذي هو التصدر للطريق.

فقلت له: فمن لم يكن مخصوصاً بالبلاء؟.

فقال: ذلك لا يمكنه الظهور لتربية أحد، لأنه يرى الستر واجباً عليه، ثم قال:

١ واعلم أنه لا يظهر الأدب إلا العمل، كما أنه لا يظهر العمل إلا العلم، ولا اليقين إلا الكشف، قال تعالى: «فليستجيبوا لي»[1] أي بالعمل، كما استجيب لهم في العلم: «وليؤمنوا بي»[2] باليقين، كما استجيب لهم في الأدب، فافهم.

[الأسباب ومسبباتها]

٦١- **وسألته رضي الله عنه**: عن المسببات هل لها أسباب مخصوصة لا تقبل غيرها أم لا؟.

فقال لي: ما مذهبك؟ **فقلت**: مذاهب العلماء المشهورة هي مذهبي، **فقال**: الذي أذهب إليه أن الأسباب كالمرائي المجلوة القابلة لظهور الصور، والمرآة

---

(١) إشار إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ [البقرة: ١٨٦].

(٢) إشار إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...﴾ [البقرة: ١٨٦].

في جنة [ب٣٢/ب] تعطي حكمها من المشهود، كما أنها قابلة لكل ما يظهر فيها من لطيف وكثيف. والأعيان التي [أد٢/أ] هي المحسوسات، مرآة واحدة غير منقسمة ولا متناهية ولا متكثرة في الحقيقة، وإنما هي انطباع أسماء المتجلي وصفاته في مرآة الذات الأحدية، فالتنوع الواقع من المتجلي لا من غيره، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(1) فكل من عبد غير الله تبرأ منه معبوده إلى الله، فلا تقع عبادة ذات عبد إلا لله تعالى، لأنه يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً(2).

انتهى.

[المراد بقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾]

٦٢- وسألته رضي الله عنه في عالم الخيال عن قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾(3) ما المراد بها؟.

فقال: هي قلوب العارفين. فقلت له: ما المراد بكون الشمس سراجاً والقمر نوراً؟ فقال: وارث وموروث ـ ولم يزد على ذلك ـ ففهمت ما تحته، والله أعلم.

[عالم التقييد وعالم الإطلاق أيهما أكمل؟]

٦٣- وسألته رضي الله عنه: عن عالم التقييد وعالم الإطلاق، وأيهما أكمل؟.

فقال: التقييد حقيقة إطلاق، بعكسه سعة الإطلاق، إذ إطلاق الحق لا مقابل له، فمن كان له [ب٣٣/أ] مقابل لكان كالتقييد على حدٍّ سواء.

قلت له: فما تحقيق العبارة؟.

فقال: وهما صفات لذات أحدية بريئة عن المنكر والتشبيه، ومعلوم أن الصفات توجب المثلية وغيرها، كما أوجبت الذات على نفسها انعدام الصفة والاسم، فافهم(4).

---

(1) سورة الإسراء، آية: ٢٣.

(2) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

(3) سورة الواقعة، آية: ٧٥.

(4) لم نفهم مقصود هذا الكلام الذي قاله عن عالم التقييد وعالم الإطلاق، والحقيقة أن فهم هذا الكلام لا يستطيعه العقل العادي، بل لا بد من إشراق نور من القلب الذي يتوهج عند أهل الله عادةً، فهم يستكشفون معاني مثل هذا الكلام، لذلك إذا جاء من لم يتزود بهذا النور ليفهمه

[المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟..﴾]

٦٤- وسألته رضي الله عنه: عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾(١) الآية.

فقال: هذه الآية متضمنة لعدم اختيار العبد مع ربه، وهو مقام إبراهيم الخليل الذي أمرنا الله باتباعه، إذا علمت ذلك فاعلم أن (الأمر كان)(٢) صفة من صفات النفس، كما أن [أ٢٥/ب] الظلم أيضاً صفة من صفاتها فهي موصوفة بالظلم، والأمر(٣) كان في هذه الآية لاعتمادها على نفسها ودعواها أنها أعلم وأكمل من غيرها، ولو تعلم ذلك من نفسها لَمَا ظهر عنها فعل ولا أمر قبيح، فهي جاهلة بمعرفة نفسها ظالمة لحق ربها، حيث لم تسند إليه جميع أقوالها وأفعالها وحركاتها وسكناتها الظاهرة والباطنة، ثم لا يخفى أن الظالم لحق ربه(٤) معذب بنار نفسه وشهوته، لا بالنار المحسوسة [ب٣٣/ب] المعدوم تعذيبها بعدم جسد المعذب، وانظر إلى إبراهيم عليه السلام حيث لم تؤثر فيه نار الحس، كذلك لم تؤثر فيه نار الشهوة، وانظر كذلك إلى البرد الذي وصفه الحق تعالى بالنار، تجد ذلك إنما كان من صفة برد باطنه من حر التدبير المفضي إلى الشرك الأكبر في قول الحق، حكاية عن قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٥)، فالظالم لحق ربه معذب بالبعد عنه، ومتقرب إلى هواه الذي جعله معبوداً له ومتوجّهاً إليه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾(٦)، فوصف الحق تعالى له بالعلم في هذه الآية إنما هو لكونه لم يتخذ له إليها خارجاً عنه وبعيداً منه، والإله

= فإنه يحسبه ضرب من الهذيان. فلذلك كانوا يقولون وما يزالون يقولون: إن علمنا هذا مضنون به عن غير أهله. اللهم فمنّ علينا بالفهم.

(١) سورة هود، آية: ١١٣ .

(٢) في (أ) جاء ما بينهما: (الأركان). ولكن ما جاء في (ب، ط) هو الأصوب. والله أعلم.

(٣) في (أ): الأركان.

(٤) في (ط): به.

(٥) سورة لقمان، آية: ١٣ .

(٦) سورة الجاثية، آية: ٢٣ .

من شأنه القرب، وما ثم أقرب إلى الإنسان من نفسه لنفسه، لأن هواه الذي عبده عالم بما يظهر من سره ونجواه، بخلاف الإله المجعول في الظاهر، فإنه غير عالم بمصالح تلك النفس وأحوالها، لبعده وعدم علمه، وأيضاً فإن النفس العابدة لهواها هي المعبودة في الحقيقة، وإنما صفاتها عابدة لذاتها، فلذلك نبهنا الله تعالى بقوله: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(١)، وفي قول علي [أ٢٦/أ] بن أبي طالب رضي الله عنه: «من عرف نفسه عرف ربه»(٢) فنبه على ذلك أيضاً، فإن المعرفة تكررت [ب٣٤/أ] وهي لا تقبل التكرار، والنفس والرب قبلا التكرار، فرضي الله عن الإمام على مظهر التوحيد، فتأمل ذلك فإنك لا تجده في كتاب(٣).

[الاستقامة عند أهل الله تعالى]

٦٥- وسألته رضي الله عنه: عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾(٤)، من الموصوف حقيقة بهذه الأوصاف؟.

فقال رضي الله عنه: هذه الآية مخصوصة بأكابر الأنبياء، وكمل ورثتهم في ظاهرها وعامتهم في باطنها من وجه آخر؛ فقلت له: كيف؟ فقال: إن الذين قالوا:

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٢١ .

(٢) كثر الذين نسب إليهم هذا القول، فمنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي ذكره المؤلف هٰهنا. ويحيى بن معاذ الرازي. ولكن معناه لطيف جداً، قال الإمام النووي في فتاويه: (من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله تعالى والعبودية له عرف ربّه بالقوّة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلى). وقال تاج الدين بن عطاء الله الإسكندري في «لطائف المنن»: سمعت شيخنا أبا العباس المرسي يقول: فيه تأويلان: أحدهما: أي من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها، عرف الله بعزّه وقدرته وغناه، فتكون معرفة النفس أوّلاً، ثم معرفة الله من بعد. والثاني: أن من عرف نفسه فقد دل ذلك منه على أنه عرف الله من قبل، فالأول: حال السالكين، والثاني: حال المجذوبين. [انظر: رسالة القول الأشبه للسيوطي (ص ٤٥١-٤٥٢) من ضمن الفتاوى له].

(٣) لقد كتب الشيخ محيي الدين بن عربي رسالة قيمة جداً في هذا الموضوع سمّاها (الرسالة الوجودية) وكان لنا عليها بعض التفسيرات والإيضاحات، وهي في غاية الحسن إن شاء الله تعالى.

(٤) سورة فصلت، آية: ٣٠ .

ربنا الله: كمل الأنبياء، ثم استقاموا: محمد ﷺ، تتنزل عليهم الملائكة: عامة النبيين، أن لا تخافوا ولا تحزنوا: كمل العارفين، وأبشروا [ب٣٤/ ب] بالجنة التي كنتم توعدون: جميع المؤمنين، فقد بينت هذه الآية مراتب الكمل كما بينت التي تليها صفاتهم وأحوالهم، وهذه الآية من الجوامع، قال: ولولا خوف الهتك لأستار الكمل لأظهرنا لك من هذه الآية عجباً. والله تعالى أعلم.

[تفسير سورتي التكوير والانفطار]

٦٦- **وسألته رضي الله عنه**: عن تفسير سورة التكوير والانفطار(١) لأمر ورد عليّ أدى إلى السؤال عن ذلك.

فقال رضي الله عنه: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾(٢) ظهرت وباسمه الباطن ظهرت، ولم تظهر ولم تبطن ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٣)، وانقسمت بعد ما توحدت ثم تعددت وانعدمت بظهور المعدود ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾(٤)، ثم تنزلت بما عنه انفصلت وبما به اتصلت واتحدت: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾(٥) ثم تنوعت بالأسماء واتحدت بالمسمى وظهرت من أعلى [أ٢٦/ ب] عليين إلى أسفل سافلين، ثم رجعت على نحو ما تنزلت ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾(٦)، وبالجبال سكن ميدها، وميدها هو فسادها، ثم اتصفت وبعدت بما وصفت عما به اتصفت، وما اتصفت إلا بما له خلقت، فخلقت وانحرفت فحشرت، وبأعمالها انحشرت، ولحدوثها انمدت، «كل ميسر لما خلق له»(٧)، ﴿قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾(٨)، ثم

(١) ورد هذا السؤال والجواب في كتابه «الجواهر والدرر» بصياغة قريبة مما ذكر هٰهنا. انظر: الفقرة رقم (٨٠٩)، ط دار التقوى بدمشق.
(٢) سورة التكوير، آية: ١ .
(٣) سورة القلم، آية: ٤ .
(٤) سورة الشمس، آية: ٢ .
(٥) سورة النجم، آية: ١ .
(٦) سورة البقرة، آية: ٢٧٥ .
(٧) عزاه السيوطي في جامعه الصغير (٢/ ٢٤٢ رقم ٦٣٥٨) إلى أحمد والبخاري ومسلم وأبي داود، كلهم عن عمران بن حصين، والترمذي عن عمر.
(٨) سورة الإسراء، آية: ٨٤ .

انعدم التقييد بوجود الإطلاق، وانخرق الحجاب، وتعطلت الأسباب، وطلبت القلوب ظهور المحبوب ليكون معهم كما كان، وهو الآن [ب٣٥/أ] على ما عليه كان، لكن هم الذين حجبوا عنه «يوم يأتيهم الله في ظلل من الغمام»(١).

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾(٢)، وبزوجها تعلقت، ولجنتها(٣) تشوقت، وبحقيقتها اتصلت، ولمظاهرها تعددت، وبها تنعمت ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾(٤)، ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾(٥)، والروح لم تقتل لأنها حية، وإن قتلت فبمحبوبها قتلت، وإن سئلت فيه فقاتلها محييها بقتلها ومماتها، والموت عدم العلم، والعلم عند الله لأنه عالم بالقاتل وما يستحقه، فجزاؤه عليه ورجوعه إليه، ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾(٦)، ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾(٧): بالأعمال التي هي علوم القلب المفاضة على الجوارح، فالعمل صورة كما أنه روحه، فمن لا روح [ب٣٥/ب] لصورهِ لا نشر لصحفه، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾(٨) يرى عملكم، لأنه المعلم والله العالم المنزه عن الرؤية بالأبصار، والقلوب المقيدة بغيره، «يحشر المرء على دين خليله»(٩)، ﴿وَإِذَا [أ٢٧/أ] ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾(١٠) لأن السماء علوم والوجود يومئذ الأعمال، ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗا﴾(١١)، ﴿فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤].
(٢) سورة التكوير، آية: ٧.
(٣) في (ط): ولجنتها.
(٤) سورة القيامة، آية: ٢٩.
(٥) سورة التكوير، آية: ٨.
(٦) سورة التوبة، آية: ١٤.
(٧) سورة التكوير، آية: ١٠.
(٨) سورة التوبة، آية: ٩٤.
(٩) عزاه صاحب «كشف الخفاء» (٢/ ٢٠١ رقم ٢٢٨١) إلى أبي داود والترمذي وحسنه، وإلى البيهقي والقضاعي عن أبي هريرة. وتساهل ابن الجوزي فأورده في الموضوعات. والقول ما قاله الترمذي، أي أن الحديث حسن. ورواه العسكري عن أنس بلفظ: «المرء على دين خليله، ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الخير ـ أو من الحق ـ مثل الذي ترى له». ورواه ابن عدي في «الكامل»، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(١٠) سورة التكوير، آية: ١١.
(١١) سورة الكهف، آية: ٤٩.

﴿ٱلْكَبِيرِ﴾(١)، باسمه الله لا باسمه الرب، فحكم «الله» يعم، وحكم «الرب» يخص، ثم إلى ربهم يرجعون(٢) ولا وجود لصفة مع ذاتها، ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾(٣): نار الخلاف اشتعلت وبالأعمال المظلمة عذبت، ﴿أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾(٤)، فما عذبهم إلا بهم، وما رحمهم(٥) إلا به، (والواحد ليس من العدد، لأن الواحد موجود مستور؛ والعدد معدوم مشهود)(٦)، ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾(٧)، كذلك: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾(٨) لأن الرسول هو المستوي بنبوته على عرش ولايته، وهم العيون الأربعة تسقى بماء واحد ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾(٩) هو العرش المطلق لذلك اليوم المطلق يتجلى المعبود المطلق على العابد [ب/٣٦/أ] المطلق، الذي هو إطلاق المقيدات ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾(١٠)، ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾(١١) إلى آخر السورة: صفات ونعوت وأسماء للموصوف المنعوت بالأسماء، والله تعالى أعلم.

وأما تفسير سورة الانفطار فهي كتفسير سورة التكوير؛ إلا أنه في البرزخ مع بقاء نسب وحجب ليست كهذه ولا كتلك، لأنه عالم خيال لا حقيقة له ثابتة، وهو محل تجلي الصفات الإلهية، كما أن الدار الآخرة محل تجلي الذات العينية(١٢)،

(١) سورة غافر، آية: ١٢ .
(٢) في (أ): يحشرون.
(٣) سورة التكوير، آية: ١٢ .
(٤) سورة المائدة، آية: ٤٩ .
(٥) في (أ): وسارحمهم.
(٦) ما بين الهلالين سقط من (أ).
(٧) سورة التكوير، الآيات من: ١٢-١٤ .
(٨) سورة التكوير، الآيات من: ١٥-١٩ .
(٩) سورة التكوير، آية: ٢٠ .
(١٠) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤ .
(١١) سورة التكوير، آية: ٢١ .
(١٢) في (أ): الغيب.

لقوله في الحديث: «إنكم سترون ربكم»[(١)]، وأما الدار الأولى التي نحن فيها الآن: فهي محل تجلي الأسماء الخاصة بالربوبية، فكل عالم من هذه العوالم الثلاثة قيوم به مظهر فرد من الأفراد الثلاثة الذين هم آدم وعيسى ومحمد عليهم [أ٢٧/ب] الصلاة والسلام، فآدم خصيص بالأسماء، وعيسى خصيص بالصفات، ومحمد خصيص بالذات، فآدم فاتق لرتق المسميات والمقيدات بصورة الأسماء، وعيسى فاتق لرتق الصفات البرزخيات بصورة الصفات، ومحمد ﷺ فاتق لرتق الذات وراتق لفتق[(٢)] الأسماء والصفات، لأن الخصيص [ب٣٦/ب] بالمظهر الآدمي إنما هو الآثار الكونية، فظهرت عجائبه وتنوعت حقائقه ورقائقه، وأما الخصيص بالمظهر العيسوي فهو المعارف الإلهية، والكشوفات البرزخية، والتنوعات الملكية، والتنفسات الروحانية.

وأما الخصيص بالمظهر المحمدي فهو سرّ[(٣)] الجمع والوجود والإطلاق عن الصفات والحدود، وذلك لعدم انحصاره بحقيقة، أو تلبسه بقيد شريعة، بل سره جامع ونظره[(٤)] لامع، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن.

وقد ولج كل من هذه الأفراد الثلاثة عالمه المختص به في هياكلهم التي هم عليها الآن، ولم يكن ذلك لغيرهم، فآدم عليه السلام تحقق ببرزخيته أولاً قبل نزوله إلى هذا العالم [ب٣٧/أ]، وعيسى كذلك إلى الآن في المحل الذي ولجه آدم مع ما اختص به عليه من حقائق الصفات، وإحاطتها على عوالم الأسماء، (فلذلك طالت مدة مكثه ضعفي ما مكثه آدم في جنته، ومحمد ﷺ قد ولج العوالم الثلاثة لأنه مظهر سر الجمع والوجود حين أسري من عالم الأسماء)[(٥)]، وترك الأرض وصعد إلى السماء الدنيا، وعرف جميع أحكامها [أ٢٨/أ] وتعلقاتها، ثم ولج البرزخ

(١) قال ابن القيم في (حادي الأرواح ص ٤١٦) الأحاديث عن النبي ﷺ الدالّة على الرؤية فمتواترة عن أبي بكر والخدري وجرير وصهيب وابن مسعود وعلي والأشعري وعدي وغيرهم منها: مسند أحمد (١/ ٤)، وصحيح البخاري (٢/ ٢٩٢)، ومسلم (رقم ١٨٣).

(٢) سقطت (لفتق) من (ط، ب).

(٣) سقطت من (أ).

(٤) في (أ): ومظهره.

(٥) سقط ما بين القوسين من (ط).

باستفتاحه السماء الدنيا إلى انتهائه الذي هو السماء السابعة، ثم أولج باستفتاحه عالم العرش إلى ما لا نهاية له، ولا يمكن التعبير عنه إلا بالوصول إليه، ولا وصول إليه، فلا يصح لأحد أن يعبر عنه لحقيقة إطلاقه، ولذلك ادخر ﷺ دعواته ومعجزاته الخصيصة به إلى ذلك اليوم المطلق الذي لا يسعه غيره، فإنه لو أظهر ذرة من معجزاته التي هي من خصائصه في هذه الدنيا لتلاشى العالم بأسره، لأنها كلها تجليات ليس فيها رائحة من الكون المقيد، فهي بريئة عن المثلية، وما ظهر هنا من معجزاته فإنما ظهر لمشاركته خصوص المرسلين له فيه، لأنها كلها كونيات مرئيات(١) متخيرات متقطعات؛ بخلاف ما سيظهر حكمه في الدار الآخرة الخصيصة بما يناسبها من الإطلاق وعدم الانقطاع، فيوم آدم ألف سنة ابتداء يومه وآخره كونه شفعاً، وذلك من سر أوليته وأصل إنشاء العوالم وظهورها، كالواحد [ب٣٧/ب] مع الأعداد، ويوم عيسى سبعة آلاف سنة ابتداؤه ونهايته خمسون، وذلك لكونه بعث آخر الدنيا وأول البرزخ، وذلك سبعة أيام، ويوم محمد ﷺ خمسون ألف سنة ابتداؤه، ولا نهاية له، لأنه حقيقة الروح الكلية التي انفتحت في برزخيته بصور العوالم(٢) الإلهية والكونية، فلذلك قال: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٣)، فمن أمعن النظر علم حقائق [أ٢٨/ب] الكون ومراتبه علمه يقيناً، وعلم أيضاً ما يمكن تغييره هنا وما لا يمكن تغييره هناك. انتهى ما استمليته منه رضي الله عنه مما فتح الله به على قلبه من تفسيره بعض إشارات السورتين، وهو كلام غريب ما سمعناه من غيره، فالحمد لله رب العالمين.

[من أستر سريرة ألبسه الله رداءها]

٦٧- **وسألته رضي الله عنه:** عن النور الذي يظهر على وجوه قُوّامِ الليل وغيرهم من العباد، هل هو علامة خير أو علامة شر؟.

فقال: هو علامة شر، لأن الله تعالى إذا أراد [ب٣٨/أ] بعبده خيراً جعل نوره

(١) في (ط): مرسيات.
(٢) في (ط): العالم.
(٣) سورة المعارج، آية: ٤ .

في قلبه ليعرف ما يأتي وما يذر، وإذا أراد بعبده شراً جعل نوره على وجهه وأخلى قلبه من النور، فوقع في كل رذيلة، وكذلك كان أكمل الأولياء الملامتية[1] لكونهم على أعمال صالحة لا يقدر أحد على القيام بها، ومع ذلك لا يتميزون عن العامة بشيء، فكانوا مجهولي المقام[2] في الدنيا لا يعلمهم إلا الله، وحفظ الله تعالى عليهم رأس مالهم فلم ينقص منه شيئاً، بخلاف من ظهرت عليه أمارات الصّلاح، فإن الناس يتبركون به ويثنون عليه بذلك، فربما استوفى بذلك حظ عبادته، والله تعالى أعلم.

[من الاكمل؟ الذي يتحمل البلاء عن الناس، ام الذي لا يتحمل]

٦٨- **وسألته رضي الله عنه**: عن الفقراء الذين لا يتحملون شيئاً من بلايا الخلق ويزعمون أنهم مسلمون لله، هل هم أكمل أم الذين يتحملون البلايا عن الناس؟.

فقال [ب٣٨/ ب] **رضي الله عنه**: الذين يتحملون أكمل لزيادتهم بنفعهم[3] للناس، مع أن التحمل لا ينافي التسليم.

فقلت له: فهل يحل للمتحملين للبلايا أن يأكلوا من هدايا من تحملوا عنه البلاء؟.

---

(١) الملامتية: هم قوم من أهل الله تعالى أكبّوا على العبادة والاجتهاد فيها، من صلاة وصيام وقيام وذكر، وديدنهم اتهام النفس بالتقصير في العمل الصالح والتقصير في الإخلاص، ودائماً يعملون على لوم أنفسهم. ولقد ألّف أبو عبد الرحمن السُلمي رسالة في موضوع الملامتيّة، وذكر فريقاً منهم وأحوالهم، يقول السُلمي: ومن أصولهم أنهم رأوا التزيّن بشيء من العبادات في الظواهر شركاً، والتزيّن بشيء من الأحوال في الباطن ارتداداً. ومن أصولهم ألا يقبلوا ما يفتح عليهم بعزّ ويسألوا بذلّ، حتى أنّ أحدهم يسأل عن ذلك فيقول: في السّؤال ذلّ، وفي الفتوح عزّ، وإنا لا نأكل إلا بذلّ، لأنه ليس في العبودية تعزّز، وأصلهم في ذلك قول النبي ﷺ: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد...»، ومن أصولهم قضاء الحقوق وترك اقتضاء الحقوق. ومن أصولهم محبّة استخراج الشيء منهم بالجهد...). راجع رسالة السُلمي في أهل الملامة (ص٩٨-٩٩).

(٢) في (ط): القيام.

(٣) في (أ): نفعهم.

فقال: نعم [٢٩/أ] لأنه كالجعالة على عمل معلوم من قضاء الحوائج، بل هو من أجل الكسب، لأن صاحبه قد خاطر بالروح في دفع ذلك البلاء. والله تعالى أعلم.

[خوارق العادات التي تظهر على من لا صلاح لهم ظاهر]

٦٩- **وسألته رضي الله عنه:** عن أرباب الأحوال الذين يظهر عنهم الخوارق، مع عدم صلاتهم وصومهم، كيف حالهم؟.

فقال: ليس أحد من أولياء الله له عقل التكليف إلا وهو يصلي ويصوم، ويقف على الحدود، ولكن هؤلاء لهم أماكن مخصوصة يصلون فيها، كجامع رملة لد وبيت المقدس، وجبل ق، وسد اسكندر، وغيرها من الأماكن المشرفة، أو التي انكسر خاطرها بين البقاع بقلة عبادة ربها فيها، فأرادوا جبر خاطرها وإكرامها بالصلاة، قال: ومنهم الآن الشيخ عبد القادر الدشطوطي(١)، والشيخ أبو خودة(٢)، وجماعة، ومنهم جماعة يصلون بعض الصلاة في هذه الأماكن، وبعضها في جماعة المساجد، وكان سيدي إبراهيم المتبولي يصلي دائماً في الجامع الأبيض برملة لد، فكان [ب٣٩/أ] علماء حارته ينكرون عليه ويقولون: لأي شيء لا تصلي الظهر أبداً؟؟! مع كونه فرضاً عليك كغيره من الصلوات الخمس!!. فيسكت. والله تعالى أعلم.

---

(١) هو الشيخ عبد القادر الدشطوطي، كان من أكابر الأولياء، وكان يسمى بين الأولياء صاحب مصر، وحج ماشياً حافياً إمعاناً بالتذلل إلى الله تبارك وتعالى، ولما زار النبي ﷺ وأراد أن يدخل وضع خده على عتبة باب السّلام وناح مدة الإقامة، وطال مقامه عند الباب ولم يدخل الحرم أدباً مع رسول الله ﷺ، ولقد عمّر عدة مساجد في مصر وقراها، وكان محبوباً لدى الخاص والعام، وكان السلطان قايتباي يمرّغ خديه على نعليه. لقيه الشيخ الشعراني وصحبه مذ كان يافعاً، ولقد انتفع منه على ما قال في طبقاته الكبرى (٢/ ١٣٨ رقم ٢٤).

(٢) هو الشيخ علي أبو خودة، كان من أرباب الأحوال ومن الملامتيّة، كان أسمر قصيراً يحمل بيده عصا لها شعبتان، وكان يعطف كثيراً على العبيد السُود والحبش. وكان له بعض الحركات المثيرة للدهشة، توفي سنة نيف وعشرين وتسعمائة هجرية، ودفن بزاويته بالحسينية قرب جامع الكردي. انظر «الطبقات» (٢/ ١٣٥ رقم ١٩).

[الطريق والجهل بالشريعة لا يجتمعان]

٧٠- **وسألته رضي الله عنه**: عن هؤلاء الذين قصدوا التسليك للناس من الفقراء في أرض مصر مع جهلهم بعض أحكام الشريعة، هل يقدح ذلك في كمالهم؟.

فقال: نعم؛ لا ينبغي للفقير التصدر في الطريق إلا إن كان عالماً بالشريعة المطهرة مجملها(١) ومبينها(٢)، وناسخها ومنسوخها(٣)، خاصها(٤) وعامها(٥)، بحيث لو انفرد [أ٢٩/ب] في جميع الأقاليم لكفى أهلها في جميع ما يطلبونه من العلم، ومن لم يبلغ إلى هذه الدرجات فليس هو من كُمّل الرجال، وليس له التصدر في الطريق، إنما حكمه حكم بعض طلبة العلم، يرشد الناس من العوام إلى بعض أحكام دينهم الظاهرة، وليس له في طريق القوم قدم، لأنها كلها طريق غيب غير محسوس للناس، وما تميز الفقراء عن الفقهاء إلا بهذه الطريقة، فأحاطوا علماً بأحكام الشريعة وأسرارها. والله تعالى أعلم.

---

(١) المجمل هو اللفظ الذي خفيت دلالته على معناه، ولا قرينة تعيّن المراد منه، بل لا سبيل إلى إزالة الخفاء إلا ببيان من صدر منه الإجمال. انظر: «منهاج الوصول إلى علم الأصول» (ص ١٠٣) بتحقيقي.

(٢) المبيّن هو الواضح بنفسه أو بغيره، مثل: ﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وذلك الغير يسمى مبيِّناً. انظر: «منهاج الوصول إلى علم الأصول» للبيضاوي (ص ١٠٥) بتحقيقي.

(٣) الناسخ والمنسوخ هما من النسخ ومعناه لغة: النقل أو الإزالة. واصطلاحاً: رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل متراخٍ عنه. أي رفع استمرار العمل بالحكم المنسوخ، لأن تعلق الخطاب بالحكم الأول قد ارتفع بالخطاب الثاني. انظر: «منهاج الوصول» للبيضاوي (ص ١٠٩) بتحقيقي.

(٤) الخاص هو اللفظ الذي وضع على فرد واحد بالشخص، أو واحد بالنوع، أو على أفراد متعددة محصورة. مثال الواحد بالشخص: الأعلام كمحمد، أو الأعيان: مثل مكة، وثمال الواحد بالنوع: رجل، إنسان. «منهاج الوصول» (٩١) بتحقيقي.

(٥) العام هو لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد. والعموم إما لغة بنفسه كأي للكل، ومن للعالمين، وما لغيرهم، وأين للمكان، ومتى للزمان، أو بقرينة في الإثبات كالجمع المحلّى بالألف واللام، وكذا اسم الجنس، أو النفي، كالنكرة في سياقه. «منهاج الوصول» (ص٨٩) بتقحقيقي.

[﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ...﴾]

٧١- **وسألته رضي الله عنه:** في سنة إحدى وأربعين وتسعمائة: هل أدخل في [ب٣٩/ب] حملات الناس أم أمتنع؟.

فقال: لا أرى الامتناع عن ذلك إلا أولى لك، لأن غالب الناس قد استحقوا نزول البلايا والمحن والخسف والمسخ وايش[1] جهد ما تعمل؟!.

فقلت له: قد قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾[2]؟.

فقال: صحيح، ولكن فيما يقدرون، ثم قال: جميع الأولياء الأحياء والأموات قد تزحزحت أبوابهم للغلق، وما بقي مفتوحاً إلا باب رسول الله ﷺ، فأنزل كل شيء توجه به الناس إليك برسول الله ﷺ، فإنه شيخ الناس كلهم، وحكم الخلق كلهم بالنسبة إليه كالعبيد والغلمان الذين في خدمته، فهو يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون. والله أعلم.

[متى يكمل العالم؟]

٧٢- **وسألته رضي الله عنه:** متى يكمل العالم في درجة العلم؟.

فقال: إذا صار الشارع مشهوداً له في كل عمل مشروع، وصار يستأذنه في جميع ما يأمر به الناس وينهاهم عنه من الأمور المستنبطة [أ٣٠/أ]، ويفعل بما يأذن له فيه منها، فإن المجتهد قد [ب٤٠/أ] يخطىء.

فقلت له: هذا فيما يأمر به الغير، فكيف حاله فيما يفعله هو؟.

فقال: لا يكمل في مقام العلم حتى يستأذنه في كل أكل وشرب ولبس ودخول وخروج وجماع، وغير ذلك من سائر الحركات والسكنات، فإذا فعل ذلك كان كاملاً في العلم والأدب، وشارك الصحابة في معنى الصحبة[3]، والله تعالى أعلم.

---

(١) كلمة درجت على ألسنة العوام وهي في الأصل: (أي شيء).

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥١ .

(٣) هذه من الصلات الروحية التي تتوفر بشكل شبه دائم عند أهل الله تعالى، وهذا من كمال أدبهم مع الله تعالى ومع رسول الله ﷺ، وكان أهل الله يستدلون لأدبهم هذا ويحتجون بقوله تعالى: ﴿...لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، وهكذا كان صحابة رسول الله معه ﷺ ورضي الله عنهم.

[زيارة الإخوة في الله..]

٧٣- وسألته رضي الله عنه: هل أزور إخواني في هذا الزمان؟ أو أترك الزيارة خوفاً من أن أشغلهم بزيارتي عن أمر هو أهم منها؟.

فقال: حرر النية الصالحة أولاً، ثم زر ولو مرتين في النهار، وليس اللوم إلا على من يزور لغرض نفساني، ثم قال: احذر أن تشغل من تزوره عن الله، أو عن حرفته التي أمره الله بها، فإن غالب الناس لا يراعي مثل [ب٤٠/ب] ذلك، فيكون ذلك اليوم غير مبارك على الزائر والمزور. والله أعلم.

[تأويل حديث: «إن الله يكره الحبر السمين»]

٧٤- وسألته رضي الله عنه: عن الحديث «إن الله يكره الحبر السمين»[1]؟.

فقال: الحبر هو العالم، وإنما كرهه الحق تعالى حين يسمن، لأن سمنه يدل على قلة ورعه، إذ لو تورع عن الشبهات لم يجد شيئاً يشبع منه حتى يسمن، فقلت له: فقد نجد بعض الراسخين في العلم؟ فقال: الراسخ في الشيء هو الذي لا يتزلزل عنه.

فقلت له: فإذاً ذلك مدح ظاهراً ذم باطناً، لعدم ترقيه حينئذ، فقال: نعم وما يذكر إلا أولو الألباب، ولذلك كان العارفون لا يتقيدون بعلم شيء ظهر لهم مدة ترقيهم، فلهم في كل لمحة علم جديد، كالمجتهد سواء. والله أعلم.

[هل الادخار محمود؟]

٧٥- وسألته رضي الله عنه: عن ادخار القوت، هل هو محمود لاطمئنان الجزء الذي في [أ٣٠/ب] الحسي من المعيشة؟.

فقال: ليس للفقير أن يدخر القوت إلا إن كان على بصيرة بأنه قوته وحده، ليس لأحد فيه نصيب، ويكون الحق تعالى عجل له قوت العام ـ مثلاً ـ [ب٤١/أ] فضلاً منه، فإن لم يكن على بصيرة وكشف فليس له أن يدخر، لأن الحامل له على ذلك وجود شح في الطبيعة.

---

(1) قال الشيخ الحوت في «أسنى المطالب» (ص ٦٤): «إن الله يكره الحبر السمين». رواه البيهقي من قول كعب بلفظ «يبغض»، ويروى عن مالك بن دينار، ويسنده إلى التوراة، وكذا قال الغزالي.

فقلت له: فإذا أطلعه الله تعالى على أن ذلك قوت عياله مثلاً، ولا يصل إليهم إلا على يديه فهل يدخر؟ فقال: نعم، فقلت له: فإن علم أنه رزقهم ولكن لم يعلمه الحق تعالى أنه يأتيهم على يديه هل له ادخاره؟ فقال: لا.

فقلت له: فإن أطلعه الله تعالى على أن ذلك لا يصل إليهم إلا على يديه لكن في زمان معين لم يأت؟ فقال: هو بالخيار حينئذ؛ إن شاء أمسكه إلى ذلك الوقت، وإن شاء أخرجه عن يده، فإنما هو حارس، ولم يأمره الحق بإمساكه، وإذا وصل ذلك الوقت المعين فإن الحق يرده إلى يده حتى يرده إلى صاحبه. قال: وهذا أولى، لأنه يكون بين الزمانين [ب١٤/ب] غير موصوف بالادخار، فإنه خزانة الحق لا خازن الحق. والله تعالى أعلم.

[هل الحج بغير زاد محمود؟]

٧٦- وسألته رضي الله عنه: عن حج بعض الفقراء في كل سنة من غير زاد ولا راحلة، هل هو محمود؟.

فقال: هو مذموم شرعاً، لأن الله تعالى فرض الاستطاعة في فرض الحج وتقدم خوفاً من تحمل منن الناس في الطريق(١)، ووقوعه في الحقد والكراهة لكل من لم يطعمه ولم يركبه، هذا أمر لازم ومقابل عن السلف من نحو ذلك، إنما كان ذلك لكثرة رياضة نفسه، فراضوا نفوسهم بالجوع حتى صارت تصبر على الطعام يومين يوماً وأكثر، وبعضهم حج من مصر [١٣١/أ] بأربعة أرغفة حملها معه، أكل في كل ربع من الطريق رغيفاً، وبعضهم حج برغيفين، رغيف أكله بمكة، ورغيف أكله في العقبة، وبعضهم أكل في مصر من يوم خروج الحجاج، فلم يأكل شيئاً حتى رجع مصر. فمثل هؤلاء يسلم لهم حالهم، وأما من يسلق الناس بألسنة حداد فسفره حرام. والله تعالى أعلم.

---

(١) هذه الفتوى تكررت في كتب الفقه، واستحب العلماء التزود لرحلة الحج. (الإيضاح للنووي ٤٧).

[تأويل حديث: «إن الله يؤيد الدين بالفاجر»]

٧٧- وسألته رضي الله عنه: عن حديث «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»[١]، كيف ذلك؟.

قال: هو العالم الذي يأمر الناس وينهاهم ولا يعمل هو بعمله، أو يعمل بعمله ويقتدي به الناس، فإذا كان في أواخر عمره رغب في الدنيا وترك الزهد والورع [ب٤٢/أ]، فيموت على أسوأ حال[٢]. نسأل الله العافية.

[محاورة بين الشيخ والمريد ولو كان الشيخ ميتاً]

٧٨- وسألته رضي الله عنه: عن السبب الذي أجاب به الأشياخ مريديهم في قبورهم، وحرّم ذلك الفقهاء مع أئمتهم؟.

فقال: هو كثرة الاعتقاد الصحيح، فالفقير يعتقد في شيخه أنه حي في قبره والحي يجيب من ناداه، والفقيه يعتقد إمامه مات، والميت لا يجيب من ناداه، ثم قال: والله لو صدق الفقيه في اعتقاده الإمام الشافعي[٣] أو الإمام الليث[٤]، أو

(١) عزاه العراقي في تخريج الإحياء (١/ ٧٣) إلى النسائي في «السنن الكبرى» عن أنس وصححه. ولفظه: «إن الله ليؤيّد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم». أما اللفظ الذي ذكره المؤلف هُهنا: «إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر» متفق عليه، البخاري (رقم ٤٢٠٣)، ومسلم (١١١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ورد هذا السؤال والجواب في كتابه (الجواهر والدرر). انظر الفقرة رقم (٧٦٢)، ط دار التقوى بدمشق.

(٣) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ابن عم رسول الله ﷺ، يلتقي معه في عبد مناف، ولد في غزة ثم حمل إلى مكة وعاش (٥٤) سنة، وأقام بمصر ثم توفي فيها ليلة الجمعة سنة (٢٠٤هـ). انظر: «الطبقات الكبرى» (١/ ٥٠ رقم ٩١).

(٤) الليث بن سعد يكنى أبا الحارث مولىً لقيس، ولد سنة (٩٣هـ) واستقل بالفتوى والكرم بمصر. روي أنه كان من الأبدال. وكان دخله كل سنة (٨٠,٠٠٠) دينار، لكنه لم يجب عليه زكاة قط لأنه كان ينفقها كلها في سبيل الله، بل كان يقع في الدين من شدة كرمه وسخائه. توفي يوم الجمعة (١٦) شعبان سنة (١٧٥هـ). انظر «صفة الصفوة» (٤/ ٥٠٥ رقم ٨٣٥).

الإمام أشهب[١]، أو الطحاوي[٢]، لأجابوه من قبورهم كما أجابوا من ناداهم من الفقراء الذين يعتقدون حياة هؤلاء الأئمة في قبورهم، فالأمر تابع لاعتقاد المريد لا للمشايخ. والله أعلم.

[تاويل قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾]

٧٩- وسألته رضي الله عنه: عن قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[٣]؟.

فقال: في ذلك بشارة عظيمة لنا، لإفاضته حينئذ فضله علينا، لكوننا أقرب جار له تعالى وهو [أ٣١/ب] أولى من وفى بحق الجوار، وإذا لم نعلم به نحن؛ فنحن أولى بمغفرته ورحمته وعفوه وصفحه من سائر [ب٤٢/ب] المخلوقات. فالحمد لله رب العالمين.

[الخواطر التي يُستحيا من ذكرها]

٨٠- وسألته رضي الله عنه: عن الخواطر القبيحة والشهوات الغالبة التي يستحي في العرف الإفصاح بها، هل يصرح بها المريد لشيخه، أو يكتمها عنه باللسان ويذكرها له بقلبه؟.

فقال: الإفصاح عنها للشيخ أولى، لأنه لا عورة بين المريد وبين شيخه، إذ هو طبيبه، ولا يكلف الشيخ بالمكاشفة عن حال المريد، هكذا درج الأشياخ من السلف، حتى أنهم سموا الكشف عن قبائح المريد كشفاً شيطانياً، يتوبون منه ويستغفرون، وما كتم مريد عن شيخه شيئاً إلا خان الله ورسوله، وخان نفسه

---

(١) أبو عمر أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري المصري الشيخ الفقيه الثبت العالم، الجامع بين الورع والصدق، انتهت إليه رئاسة مصر بعد موت ابن القاسم، روى عن الليث والفضيل بن عياض ومالك وبه تفقه، مولده سنة (١٤٠هـ) ووفاته بمصر سنة (٢٠٤هـ) بعد موت الشافعي بـ(١٨) يوماً. انظر: «شجرة النور الزكية» (١/ ٨٩ رقم ٧١).

(٢) الطَّحاوي بفتح الطاء والحاء المهملتين وبعد الألف واو، هذه النسبة إلى طحا، وهي قرية بصعيد مصر ينسب إليه جماعة منهم: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري الطحاوي صاحب كتاب «شرح الآثار»، كان إماماً فقيهاً من الحنفيّة، ولد سنة (٢٢٩هـ) وتوفي سنة (٣٢١هـ) صحب المزني وتفقه به ثم ترك مذهبه وصار حنفي المذهب، كان ثقةً ثبتاً. انظر: «اللباب» لابن الأثير (١/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٦ .

وشيخه، وربما مات برأيه، مع تلبسه بصورة النفاق حال حياته، فإنه كان يظهر للناس خلاف ما هو في الباطن، ثم قال: وقد بلغنا عن الشيخ زور بهار العجمي[١] المدفون بقرافة مصر قريباً من سيدي يوسف العجمي[٢] رضي الله عنهما أنه كان يصيح في حرم مكة من شدة العشق، حتى ربما أسقطت الحوامل من شدة صياحه، فمنعوه المطاف، وصار يطوف بعيداً في جوانب المسجد، ثم إن الله تعالى حول ذلك العشق الرباني إلى عشق جارية مغنية [ب٤٣/أ]، فجاء إلى الصوفية وقال: خذوا خرقتكم، أنا فتنت بحب فلانة وتحول عشقي وصياحي إليها، فلا تظنوا أنني باقٍ على ما تعهدوه مني، ثم صار يحمل لها العود إلى محل الغناء والسكر مدة سنة، ثم حول الله عنه ذلك الحال إلى الحال الأول من الصوفية، وقال: ألبسوني الخرقة فإني رجعت إليكم [أ٣٢/أ] فقال له بعضهم: هلا كنت سترت نفسك؟ فقال: لا أحب أن أكذب في الطريق، رضي الله عنه.

[هل يشمل الرزق العلوم والمعارف؟]

٨١- وسألته رضي الله عنه: عن قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[٣]، هل يشمل الرزق المعنوي كالعلوم والمعارف؟ وهل يخاف على ذلك الرزق من السلب؟ أم صاحبه آمن أن يسلب منه؟.

فقال: كل ما جاء للعبد من غير سؤال، أو بسؤال عن إذن إلهي خاص فهو منة من الله تعالى، لا حساب على صاحبه في الآخرة ولا يسلب منه، بخلاف ما كان بالضد من ذلك، فإن [ب٤٣/ب] الآفات قد تطرقه. والله أعلم.

[أمراض البهائم وأوجاعها]

٨٢- وسألته رضي الله عنه: عما يصيب الأطفال والبهائم من الأمراض والعاهات؛ هل ذلك كفارة لها لمعصيتها فيما بينها وبين الله تعالى أم كيف الحال؟.

---

(١) هو الشيخ زوربهار العجمي المدفون بالقرافة، بالقرب من سيدي يوسف العجمي، ومن كراماته أنه كان يصعق في حب الله تعالى، فتضع الحوامل ما في بطنها من صعقته. ذكره الإمام الشعراني في كتبه، وذكره الشيخ يوسف النبهاني في كتابه «كرامات الأولياء» (١/ ٧٧).

(٢) راجع الحاشية تحت الفتوى رقم (٨).

(٣) سورة الطلاق، آية: ٣.

فقال: ليس ما يصيب الأطفال والبهائم مما ذكر كفارة لها، لعدم معصيتها شرعاً، وإنما ذلك في الأطفال لكون الحوامل والمرضعات يأكلن ويشربن بشره نفس أكثر مما ينبغي أو غير ما ينبغي من ألوان الطعام والشراب، فيتولد في أبدانهن أخلاط غليظة مضادة للطبيعة، فيؤثر ذلك في أبدان الأجنّة في بطونهن، وفي لبن أطفالهن الفساد، فيكون ذلك سبباً لأمراض الأطفال وإعلالهم وأوجاعهم من حصول الفالج والزمانات، واضطراب البنية وتشويه الخلقة وسماجة الصورة. ثم قال: ومن أراد السلامة من ذلك فلا يأكل ولا يشرب إلا في وقت الحاجة، بقدر ما ينبغي، من أجل ما ينبغي من لون واحد، بقدر ما [ب٤٤/أ] يسكن ألم الجوع [أ٣٢/ب]، ثم يستريح وينام ويمتنع من الإفراط في الحركة والسكون، وأما سبب الأمراض التي تصيب البهائم، فإنما هو لكونها تطعم وتسقى في غير وقته، أو غير ما تشتهي أو تزيد في أكلها على الحاجة، ثم تستخدم مع ذلك فتتعب أبدانها فتمرض، لا سيما في شدة الحر والبرد. والله تعالى أعلم.

[سجود العبد لله يغيظ الشياطين]

٨٣- **وسألته رضي الله عنه:** عن حديث «إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله؛ أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»[١] لِمَ لمْ ينفعه هذا البكاء؟ مع أنه في دار قبول التوبة الآن، التي هي دار التكليف؟.

فقال رضي الله عنه: إنما لم يقبل منه بكاؤه وندمه، لأنه من وجه واحد لا من الوجهين، فقلت له: كيف؟ فقال: لأن لإبليس وجهين، وجه يمد به العصاة فلا يعصِي أحدٌ إلا بواسطته، فهذا لا يمكنه التوبة منه أبداً، ووجه يؤدي به وجه عبوديته مع ربه لكونه يرى أنه يتصرف تحت مشيئته وإرادته في أهل قبضة الشقاء والتوبة، إنما تصح من الوجهين وهو لا يمكنه التوبة منهما جميعاً، فحكمه حكم من أبطن الكفر وأظهر الإسلام. والله تعالى أعلم.

(١) عزاه صاحب «تاج الأصول» (١/ ٢٢٢) إلى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة.

[هل خطاب الله للملائكة بواسطة؟]

٨٤- وسألته رضي الله عنه: عن قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[١] الآية، هل قال تعالى لهم ذلك بواسطة ملك آخر، أم بلا واسطة؟.

فقال رضي الله عنه: اعلم أن المقاطعة تختلف باختلاف العوالم التي يقع فيها التقاول، فإن كان رأى في العالم المثالي فهو شبيه بالمكالمة [٣٣/أ] الحسية، وذلك بأن يتجلى لهم الحق تجلياً مثالياً؛ كتجليه في الآخرة في الصورة كما ورد، وإن كان التقاول واقعاً في عالم الأرواح من حيث تجردها فهو كالكلام النفسي، فيكون قوله تعالى [ب٤٤/ب] للملائكة في حقيقة معنى فتواهم للمعنى المراد وهو جعله آدم خليفة في الأرض دونهم، ويكون قولهم للحق تعالى وقوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[٢] إلى آخره، هو إنكارهم لذلك وعدم رضاهم به، الناشئان من احتجابهم برؤية نفوسهم، وتجنبهم عن مرتبة من هو أعلى منهم، بكونهم اطلعوا على نقصه[٣] دون كماله. (ثم قال: وبالجملة: فمن أمعن النظر وتفطن لفهم كلام الله علم أنه تعالى كلمه في الأرض الكلام في مرتبته ولكون عين المعنى القائم به في الأخرى كالكلام النفسي، فإنه مركب من الحروف، ويعبر عنه بها في عالمي المثال والحس. والله أعلم)[٤].

[سبب قساوة القلب]

٨٥- وسألته رضي الله عنه: عن سبب القساوة التي يجدها العبد في قلبه في بعض الأوقات، حتى لا يقدر على قلبه يحضر مع ربه في حال دعاء أو صلاة أو مراقبة؟.

فقال رضي الله عنه: سبب ذلك قيام وصف العزة والغنى بك، فإن حضرة الله

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠ .
(٢) سورة البقرة، آية: ٣٠ .
(٣) في (ط): نفسه.
(٤) سقط ما بين القوسين من (ط، ب).

عز وجل لا يدخلها من تلبس بأحد هذين الوصفين، فإذا رأيت توقف الدعاء عن قضاء الحاجة، أو طلبت الحضور مع الله في عبادة فلم تقدر ففتش نفسك، وتب من هذين الوصفين، وأنت يجاب دعاؤك وتدخل [أ٣٣/ ب] حضرة ربك.

فقلت له: فإذا كان غناه وعزه بالله تعالى؟.

فقال: يمنعانه ولو كانا بالله تعالى، وذلك لأن الغنى والعز صفتان لله تعالى أصالة، فلا يقبل [ب٤٥/ أ] عزيزاً ولا غنياً مطلقاً فافهم. والله تعالى أعلم.

[آفة العقل]

٨٦- **وسألته رضي الله عنه**: في حال كمال الاستعداد ما آفة العقل؟.

فقال: الحذر، **فقلت له**: فما آفة الإسلام والإيمان؟ **فقال**: العلل، **فقلت له**: فما آفة العمل؟ **فقال**: الملل، **فقلت له**: فما آفة العلم؟ **فقال**: الدعوى، **فقلت له**: فما آفة الحال؟ **فقال**: الأمن، (**فقلت له**: فما آفة العارف؟ **فقال**: الظهور، **فقلت له**: فما آفة القول؟ **فقال**: الجور)[١]، **فقلت له**: فما آفة المحبة؟ **فقال**: الشهوة النفسانية، **فقلت له**: فما آفة التواضع؟ **فقال**: الذلة لغير الله، **فقلت له**: فما آفة الصبر؟ **فقال**: الشكوى لغير الله، **فقلت له**: فما آفة التسليم؟ **فقال**: التفريط في أوامر الله ونواهيه، **فقلت له**: فما آفة الغنى؟ **فقال**: الطمع في أن يكون كل شيء له، **فقلت له**: فما آفة العز؟ **فقال**: البطر[٢]، **فقلت له**: فما آفة الكرم؟ **فقال**: السرف، (**فقلت له**: فما آفة البطالة؟ **فقال**: الفقر من الأعمال في الدارين)[٣]، **فقلت له**: فما آفة الكشف؟ **فقال**: التكلم به، **فقلت له**: فما آفة الاتباع [ب ٤٥/ ب] للسنة؟ **فقال**: التأويل للآيات والأخبار، **فقلت له**: فما آفة الأدب؟ **فقال**: التفسير، **فقلت له**: فما آفة الصحبة؟ **فقال**: المنازعة، **فقلت له**: فما آفة الفهم؟ **فقال**: الجدال مع الناس، **فقلت له**: فما آفة المريد؟ **فقال**: التسلل على مقامات الرجال، من غير سلوك طريقهم، **فقلت له**: فما آفة الفتح؟ **فقال**: الالتفات إلى غير الله،

---

(١) سقط ما بينهما من (أ).

(٢) في (أ): النظر.

(٣) سقطت من (أ) هذه الكلمات التي بين الهلالين.

فقلت له: فما آفة الفقيه؟ **فقال**: الكشف، **فقلت له**: فما آفة [أ٣٤/أ] السالك[١]؟ **فقال**: الوهم، **فقلت له**: فما آفة الدنيا؟ **فقال**: شدة الطلب لها، **فقلت له**: فما آفة الآخرة؟ **فقال**: الإعراض عن أعمالها التي يكون منها بناء دورها وقصورها ونعيمها، **فقلت له**: فما آفة الكرامات؟ **فقال**: الاستدراج، **فقلت له**: فما آفة الداعي إلى خير؟ **فقال**: حب الرياسة، **فقلت له**: فما آفة الظلم؟ **فقال**: الانتشار، **فقلت له**: فما آفة العدل؟ **فقال**: الانتقام، **فقلت له**: فما آفة التقليد؟ **فقال**: الوسوسة، **فقلت له**: فما آفة الإطلاق؟ **فقال**: آفة الإطلاق الخروج عن الحدود، **فقلت له**: فما آفة رؤية النقص في الأعمال؟ **فقال**: قلة الشكر لله تعالى. انتهى وهو كلام نفيس.

[هل الأولى إخفاء الورع والزهد؟]

٨٧- **وسألته رضي الله عنه**: عن تعظيم الخلق (للعبد)[٢] بسبب ورعه وزهده وغيرهما من الأخلاق، هل الأولى التظاهر بضد ذلك حتى لا يعظمونه؟.

فقال رضي الله عنه: من شرط العارف أن يتعرف الأسباب، وينظر ميزان الحق فيها، لا أن يرميها بغير إذن [ب٤٦/أ] (شرعي)[٣] إلهي، قال: وتأمل السيد عيسى عليه السلام لما كان يتشوش من تعظيم بني إسرائيل له باللفظ والخضوع بالرأس، فَرَّ إلى البراري هروباً من ذلك، كيف عبدوه وجعلوه إلهاً، ففر من شيء فوقع في أعظم منه، وإن كان لم يقصده، بدليل أنه سئل عن ذلك كما أفصح عنه بالقرآن بقوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي [أ٣٤/ ب] وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٤] ثم قال: واعلم أن سبب اختيار العبد مع الله تعالى إنما هو ظنه أن الله تعالى خلق العبد لنفسه، وغاب عنه أنه تعالى إنما هو خلقه لنفسه تعالى ليعبده ويسبح بحمده ويستعمله فيما يريد، لا فيما يريد العبد. والله أعلم.

---

(١) في (أ): المسلك.
(٢) سقطت من (أ).
(٣) سقطت من (أ).
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦ .

[مقام الإحسان]

٨٨- وسألته رضي الله عنه: عن مقام الإحسان هل يصح لأحد دخوله قبل التخلق[(١)] بكمال الإيمان؟.

(فقال: لا يصح دخول مقام الإحسان إلا بعد التخلق بكمال الإيمان)[(٢)]، فإن بقيت عليه بقية منه فهو محجوب عن شهود الحق في عبادته كأنه يراه.

فقلت [ب٤٦/ب] له: وما علامة كمال الإيمان في العبد؟ فقال: أن يصير الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب ويسري منه الإيمان في نفس العالم بأسره، فيأمنوه قطعاً على أنفسهم وأموالهم وأهليهم من غير أن يتخلل ذلك الأمان بتهمة.

فقلت له: فما أصح مقام الكمال في الإيمان؟ فقال: أصح الإيمان ما كان عن تجلٍّ إلهي، لأنه حينئذ يكون إيمانه على صورة إيمان الرسل، ودونه ما كان عن دليل، ولما علم الصحابة أن إيمان الرسل لا يكون عن دليل لم يسألوا رسول الله ﷺ قط عن حقيقة إيمانه، لأن حقيقة الرسالة تقتضي أن لا دليل عليها، وأن الرسل مع الحق في التوحيد العام كنحن معهم، إذ هم مأمورون كما نحن مأمورون، لكونهم مقلدين للحق ونحن مقلدون لهم، وإيضاح ذلك أن تعلم يا أخي أن رتبة الإيمان تصاحب كل مرتبة، كما يصاحب الواحد مراتب الأعداد الكلية والجزئية، إذ هو أصلها [أ٣٥/أ] الذي بنيت عليه فروعها وثمارها.

فقلت له: فهل يصح التعبير عن حقيقة الإيمان؟.

فقال: لا يصح لأنه شيء وقر في الصدر لا يمكن التعبير عنه، قال: وأما ما ورد في السنة من الألفاظ التي يحكم لصاحبها بالإيمان فإنما هي راجعة إلى التصديق والإذعان اللذين هما مفتاحان لباب العلم بالمعلوم [ب٤٧/أ] المستقر في قلب العبد بالفطرة، ولذلك لم يسأل أحد من الصحابة رسول الله ﷺ عن حقيقة هذه الألفاظ، ولا ناقشوا أحداً من أصحابنا[(٣)]، بل أجروا حكمهم على الظاهر، ووكلوا

(١) في (أ): التحقيق.
(٢) سقط ما بينهما من (أ).
(٣) في (ط): أصحابها.

أسرار[١] الخلق إلى الله تعالى، هذا بالنظر لعوام الناس، وإلا فقد سأل رسول الله ﷺ حارثة[٢] عن حقيقة إيمانه، وقال [ب٤٧/ب]: «يا حارثة لكل حق حقيقة»[٣] الحديث. والله أعلم.

[علامة صحة توحيد العبد]

٨٩- وسألته رضي الله عنه: عن علامة صحة توحيد العبد لله تعالى؟.

فقال: علامته أن لا يرأس على أحد من خلق الله تعالى، لأنه يرى الوجود كله بحكم الارتباط، ومن علاماته أيضاً أنه ينتفي عنه الرياء والإعجاب بعمله وسائر الدعاوى المضلة عن سواء السبيل، وذلك لأنه يشهد أنَّ جميع الأفعال والصفات ليست له بالأصالة وإنما هي لله عز وجل، ومعلوم أن أحداً لا يرائي قط بعمل غيره ولا يعجب به، ولا يتزين به، ثم قال: أقول لك الحق، لا يصحب التوحيدَ شركٌ ولو باللفظ، كقوله: قمت وقعدت وأكلت ونحو ذلك، كما لا يصحب الإسلام اعتراض، وكما لا يصحب الإيمان تأويل، وكما [أ٣٥/ب] لا يصحب الإحسان سوء أدب، وكما لا يصحب المعرفة تهمة، وكما لا [ب٤٨/أ] يصحب الإخلاص في العمل لذة، وكمالا لا يصحب العلم جهل. والله أعلم.

[أيهما أكمل القن أو المكاتب؟]

٩٠- وسألته رضي الله عنه: أيهما أكمل القن[٤] أو المكاتب؟.

---

(١) في (أ): سرائر.

(٢) هو حارثة بن سراقة بن الحارث بن عدي النجاري الأنصاري الخزرجي، أصيب ببدر، وقد استشهد ببدر، وبشر به النبي ﷺ أنه في الفردوس الأعلى، وكان حارثة كثير البر بأمه، وهو الذي سأله النبي ﷺ: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمناً بالله حقّاً، قال: «انظر ماذا تقول، فإن لكل قول حقيقة» قال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، فكأني بعرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها. قال: «الزم، عبد نوّر الله الإيمان في قلبه» فقال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله ﷺ، فنودي يوماً في الخيل، فكان أوّل فارس ركب، وأوّل فارس استشهد. انتهى من «أسد الغابة» (١/ ٣٥٥)، وقال ابن الأثير: أخرجه الثلاثة. أي: أبو داود والترمذي والنسائي.

(٣) هذه قطعة من الحديث الذي ذكر في الحاشية السابقة.

(٤) القِنُّ لغةً: هو العبد إذا ملك هو وأبواه. وشرعاً: الرقيق الذي لم يحصل فيه شيء من أسباب =

فقال: العبد أكمل، فقلت له: كيف؟.

فقال: لأن المكاتب ساعٍ في خروجه من رقّ سيده ودخوله في رقّ نفسه وشهوته، فإن وفى بفعل ما كاتبه عليه سيده انقطع عنه الإمداد، وإن لم يوفّ بذلك فحاله موقوف، وخاتمته مجهولة، وأيضاً فإنّ العبد يحمل إليه رزقه وهو في رقّ سيدهِ وحده، والمكاتب يسعى في طلب رزقه ثلاثة: سيده، ودينه، ونفسه، تبصرة وذكرى لأولي الألباب.

[هل للعبد حالة كمال؟]

٩١- وسألته رضي الله عنه: هل للعبد حالة كمال لا يكون في مقابلتها نقص؟.

فقال: لا ما كمل عبد من جهة إلا ونقص من جهة أخرى.

فقلت له: ما مثاله؟.

فقال: من غفل عن ربه هذا طال حضوره معه حضور حساب أو عتاب، ومن طال حضوره معه هذا خف حضوره معه هناك، فالعارفون يتلذذون بحساب الحق تعالى وعتابهم، ويحبون أن تقوم الحجة عليهم في كل عمل، كما قال الشبلي[١]: إني أحب أن يطول حسابي يوم القيامة لأجل قوله لي: يا عبدي، فهذه عندي ألذ من نعيم الجنان كلها [ب٤٨/ب]، وقال مجنون ليلى[٢]:

= العتق ومقدّمته، خلاف المكاتب والمدبر والمستولدة، ومن عُلّق عتقه بصفة. انظر: «التحرير ألفاظ التنبيه» للنووي (ص ٢٠٤).

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلي، خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ، صاحب أبا القاسم الجنيد، وغيره الشيوخ، صار أوحد أهل الوقت علماً وحالاً وظرفاً، تفقه على مذهب مالك وكتب الحديث، عاش (٨٧) سنة ومات سنة (٣٣٤هـ)، ودفن ببغداد. انظر: «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠٣-١٠٤).

(٢) مجنون ليلى: هو قيس بن معاذ، ويقال: قيس بن الملوّح، أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر، ولقب بالمجنون لذهاب عقله بشدة عشقه، وكان شاعراً عذريّاً، أحب ليلى ابنة عمه. وكانت تعرض عنه، ثم تمادى به الأمر حتى ذهب عقله وهام مع الوحش، وكان لا يعقل شيئاً إلا أن تذكر له ليلى، فإذا ذكرت ثاب وتحدّث عنها. وفي ذلك يقول:

إذا ذكرت ليلى عقلت وراجعت روائع عقلي من هوىً متشعّبِ

انظر: «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (٢/ ٥٤٩) تحقيق أحمد شاكر.

ولقد هممت بقتلها من حبها كيما تكون خصيمتي في المحشر[١]

فافهم. والله أعلم.

[هل يعيش المريد الصادق بدون حرفة يعتاش منها؟]

٩٢- وسألته رضي الله عنه: هل أعمل لي حرفة آكل منها؟.

فقال: لا تختر مع الله شيئاً [أ٣٦/أ] إلا مع استئذانه وإذنه لك، فإن رزق العبد في طلب مرزوقه دائر، والعبد في طلب رزقه حائر، وبسكون أحدهما يتحرك الآخر، فلا يقال: السعي أفضل مطلقاً، ولا ترك السعي أفضل مطلقاً، كما يظنه من ليس عنده تحقيق، بل هو على قسمين: رزق يأتي إليك بلا سعي فلا يقال في هذا السعي أفضل، ورزق لا بد في وصولك إليه من السعي، فلا يقال: لو ترك هذا السعي كان أفضل فافهم[٢].

[هل يحمي العارف نفسه وأصحابه بالحال؟]

٩٣- وسألته رضي الله عنه: هل للعارف أن يحمي نفسه وأصحابه بالحال والتأثير [ب٤٩/أ] ممن يؤذيهم من الظلمة؟.

فقال: نعم له ذلك ولو مرة، وإن كان ذلك نقصاً في الأدب، فهو كمال من حيث العلم.

ثم قال: من ترك المؤاخذة لم يؤذه تعب أكثر من المؤاخذة، ومن الناس من لا يرجع عن الأذى إلا إذا مس بأضرار[٣]. والله أعلم.

---

(١) راجع هذا البيت في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة (١/ ٥٥١).

(٢) ليس في جواب الشيخ الخواص دعوة للكسل والبطالة، بل يدعوه للعمل مع حضور التوكل في القلب، والإيمان الخالص بأن الرزق من الله وحده، ولا يد لنا في استجلاب الرزق، فالرزق يوجد ابتداء بأمر الله وحده، هذا مقصد الشيخ الخواص، إذ لو كان مقصده ترك العمل، لتركه هو أوّلاً؛ وإلا كيف كان يأمر بشيء هو لم يلتزم به، وحاشاه من ذلك؟! وارجع إن شئت إلى الحاشية التي تحت الفتوى رقم (١٤١).

(٣) ذكر هذه الفتوى في «الجواهر والدرر» (فقرة رقم ٨٣٢) ولكن جاءت هنا مختصرة.

[دهليز نزول العلوم الإلهية]

٩٤- وسألته رضي الله عنه: ما دهليز نزول العلوم الإلهية في القلب؟.

فقال: ذهب جميع النقول منه، فإذا صار فارغاً من جميع النقول الكونية، فقد تهيأ لنزول الواردات والعلوم والمواهب، لأنها لا تنزل إلا في الأوعية الفارغة، ثم لو تصور نزولها في الأوعية المنقوش فيها نقول العلماء، كان حكمها حكم الكتابة على الكتابة، فلا يصير أحد [ب٩٤/ب] يعرف يقرأ الكتابة الأولى ولا الثانية فافهم.

قال: وقد أنشد مجنون بني عامر[1]:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا[2]

والله أعلم.

[هل يرى العبد مقامه عند الله الآن؟]

٩٥- وسألته رضي الله عنه: عن العبد [أ٣٦/ب] هل يصح له معرفة مقامه عند الله تعالى في الحالة الراهنة؟.

فقال: نعم، يعرف ذلك باجتناب نهي سيده وامتثال أمره، فإن لم يجتنب ولم يمتثل مطلقاً، أو في بعض دون بعض، فهو فيما أخل به من ذلك متلبس بأخلاق الشياطين، فإن غاب عن نفسه بالكلية فهو متلبس بحال الحيوانات لا أجر ولا إثم، فمن لم يعرف حقيقة نفسه فليعرف حقيقة علمه، فإن الثوب يدل على لابسه. والله تعالى أعلم.

[سبب كفر الكفار]

٩٦- وسألته رضي الله عنه: عن سبب كفر الكفار، مع أنهم كانوا موجودين عند أخذ الميثاق الأول[3]؟.

فقال رضي الله عنه: إنما كفر منهم من لم يكن موجوداً عند أخذ الميثاق.

(١) هو نفسه مجنون ليلى. وقد مرت ترجمته.

(٢) «ديوان مجنون ليلى» (٢١٢).

(٣) يقصد بالميثاق الأول عالم الذر من الأزل. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

فلذلك آمن ببعضٍ وكفر ببعضٍ، لأن ظهور الخلق هناك كان على التدريج، كظهورهم هنا، لكن على غير هذه الصفة كوناً وزمناً، والوجود واحد، فهذا كان سبب كفرِ من كفر بعد الميثاق. وأما من كان موجوداً عند الميثاق الأول، فإنه آمن بجميع ما [ب٥٠/أ] آمن به نبيه بحكم المطابقة، وهنا أسرار لا تسطر في كتاب. والله أعلم.

فقلت له: فهل كان أخذ العهد على الموجودات وهي مجسدة روحانية، أم روحانية فقط؟ فقال: الروح لا توجد قط إلا في مركب من جسد أو شبح، ولا تعقل بسيطة أبداً، لكن الحكم ـ حقيقة[١] ـ دائر مع الأرواح لا مع الأجساد، فإنه لولا الروح ما صح للجسم النطق ولا الإجابة ببلى، فإن الموجودات في الأولية عبارة [٣٧/أ] عن أشباح يتعلق بها أرواح، ولكن الروح هو الظاهر على الشبح هناك، كالحال في الأجساد الأخروية، تنطوي أجساد أهل الجنة في أرواحها، عكس أهل الدنيا، فيكون الظهور هناك للروح لا للجسم، حتى أن بعض الناس أنكر حشر الأجساد حين رأى في كشفه أرواحاً تطير كيف شاءت، والحق [ب٥٠/ب] ما ذكرناه؟ والله أعلم.

[علامة أصحاب الأحوال]

٩٧- **وسألته رضي الله عنه:** عن علامة أصحاب الأحوال حتى نعاشرهم بالأدب؟.

فقال: علامتهم صفرة الوجه مع سواد البشرة، وسعة العيون، وخفض الصوت، وقلة الفهم لما يقال لهم. وأطال في ذلك.

ثم قال: وسمعت سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول: ما في قلب العبد يظهر على وجهه[٢]، وما في نفسه يظهر في ملبوسه، وما في عقله يظهر في عينيه،

(١) سقطت (حقيقة) من (أ).

(٢) ورد في صفة العابد المتهجد أن وجهه مصفر وعينيه ناعستان، وقد لُبّس بالإعياء من كثرة قيامه في الليل. جاء في «الرسالة القشيرية» (ص٣٩): عن الجنيد قال: ما رأيت أعبد من السّري، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رُئِيَ مضطجعاً إلا في علّة الموت. وفيها (ص٥٠): سئل أبو يزيد: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطنٍ جائع وبدنٍ عارٍ.

وما في سره يظهر في قوله، وما في روحه يظهر في أدبه، وما في جسده يظهر على حركته، فأرباب الأحوال كالسفن مشرعين سائرين بالهواء إن سكن سكنوا، وإن سار ساروا، والعارفون كالجبال الراسيات. والله أعلم.

[أشد العذاب على العبد]

٩٨- **وسألته رضي الله عنه**: عن أشد العذاب على العبد؟ **فأجاب**: أشد العذاب سلب الروح. **فقلت له**: فما ألذُّ النعم؟ **فقال**: سلب النفس، **فقلت له**: فما أكمل [ب٥١/ أ] العلوم؟ **فقال**: معرفة الحق، **فقلت له**: فما أفضل الأعمال؟ **فقال**: الأدب، **فقلت له**: فما بداية الإسلام؟ **فقال**: التسليم. **فقلت له**: فما بداية الإيمان؟ **فقال**: الرضا، **فقلت له**: فما علامة [أ٣٧/ ب] الراسخ في العلم؟ **فقال**: أن يزداد تمكيناً عند السلب، وذلك لأنه مع الحق تعالى بما أحب، لا مع نفسه بما يحب، فمن وجد اللذة في حال علمه وفقدها عند سلبه فهو مع نفسه غيبة وحضوراً. والله أعلم.

[هل للعارف التصرف في رتبته؟]

٩٩- **وسألته رضي الله عنه**: عن العارف هل له التصرف في رتبته، يخلعها على من بعده من ولد وصاحب؟.

فقال: لا يصح للعارف التصرف في ذلك، لأن الرتبة حقيقة لله تعالى يورثها من يشاء من عباده.

فقلت له: فهل للقطب الغوث فعل شيء من خرق العوائد كطي الأرض ونحو ذلك؟.

فقال: ليس من شأن القطب إظهار الكرامات [ب٥١/ ب] والخوارق لأن مقامه التستر، وهذه الأمور تظهره، ثم سكت، ثم قال: وقد تحكم عليه الرتبة بفعل ذلك، وإذا حكمت الرتبة على كامل بشيء فلا يؤثر في كماله، سواء كان قطباً أو غيره. انتهى.

[هل للعبد أن يحكم على نفسه بالعدم؟]

١٠٠- وسألته رضي الله عنه: هل للعبد أن يحكم على نفسه بالعدم ليعطي الوجود لله حقه؟.

فقال: نعم، لكن يكون شهود هذا العدم من وجه واحد، لا من كل وجه لأجل التكليف، ثم قال: وأوضح لك ذلك، وهو أنه كما حكمت الذات على نفسها بالوجود، كذلك يجب على العبد أن يحكم على نفسه بالعدم المطلق، قال: ومن هنا يعلم الفرق بين الألوهية والربوبية، وبين العبد والرب، وبين الروح والجسد؟ والله أعلم.

[تعبير رؤيا]

١٠١- وسألته رضي الله عنه: عن مقام رأيته وهو: أني رأيت نفسي مت ودخلت القبر، وسألت نفسي عوضاً عن الملكين، هل ذلك صحيح؟.

فقال: [أ٣٨/أ] هو صحيح، لكن السؤال حقيقة إنما ترجع ثمرته وفائدته للملكين لا لك، لأنك لم تزدد بسؤالهما علماً عما كنت عليه، فافهم.

[إرخاء عذبة للعمامة]

١٠٢- وسألته رضي الله عنه: هل أرخي لي عذبة كما عليه طائفة الصوفية[1]؟

فقال [ب٥٢/أ] رضي الله عنه: لا ترخِ لك عذبة إلا إن أعطاك الله تعالى النمو والزيادة في كل شيء نظرت إليه أو مسسته، فتكون تلك الزيادة المرخاة من العمامة علامة وإشارة إلى التحقق بهذه المرتبة، من باب التحدث بالنعم لا غير، وبلغنا عن السري السقطي[2] لما أرخاها لأبي القاسم الجنيد[3] أراد أن يسقف بيته فقصرت

---

(١) وردت هذه الفتوى في «الجواهر والدرر» في الفقرة (رقم ٦٩٥) بتحقيقنا، وط دار التقوى بدمشق.

(٢) هو أبو الحسن السريّ بن المغلّس السقطي، خال الجنيد وأستاذه، صحب معروفاً الكرخي، وكان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنيّة وعلم التوحيد، وهو أول من تكلم فيه ببغداد، توفي سنة (٢٥١هـ). انظر: «الطبقات» (١/ ٧٤ رقم ١٤٤).

(٣) هو سيد الصوفية أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج القواريري البغدادي، أصله من نهاوند، ومولده ومنشأه في العراق، وكان فقيهاً يفتي على مذهب أبي ثور صاحب الشافعي، صحب خاله السّريّ السقطي، والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب، توفي يوم السبت سنة (٢٩٧هـ) ودفن ببغداد. انظر: «الطبقات الكبرى» (١/ ٨٤ رقم ١٦٤).

خشية منه عن الوصول إلى الجدار الآخر، فمطّها بيده، فطالت معه كالعجين، فمن حصل له مثل ذلك فله أن يرخي له عذبة، ويرخيها للمريدين، وإلا فيتركها.

فقلت له: فما شرط إلباس الخرقة عندكم؟.

فقال: شرط إلباسها عندي أن يعطي الله تعالى عند ذلك الشيخ من القوة والعزم أنه بمجرد ما يقول للمريد: انزع قلنسوتك أو ثوبك مثلاً، أن ينزع عنه جميع الأخلاق المذمومة، فلا يصير فيه خلق مذموم، ثم أنّه يلبسه القلنسوة التي معه أو [ب٥٢/ب] الثوب، فيخلع عليه فيها جميع الأخلاق المحمودة التي يمكن لمثله التخلق بها، فمن لم يعطه الله ذلك فهو بإلباسه الخرقة للمريد كالمستهزىء بالطريق، قال: هكذا لبستها من يدي سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه، قال: وذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه أنه لبسها كذلك من يد سيدي أبي العباس الخضر عليه السلام، تجاه الحجر الأسود، وأخذ عليه العهد بالتسليم [أ٣٨/ب] لمقالات الشيوخ.

قلت له: فما شرط تلقين الذكر عندكم؟.

فقال: شرطه أن يعطي الله الشيخ من العزم أنه يخلع [ب٥٣/أ] على المريد حال تلقينه الذكر جميع علوم لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

فقلت: وما علومها؟.

فقال: هي علوم الشريعة المطهرة، فلا يصير بعد التلقين يجهل شيئاً من أحكام الشريعة المطهرة، فيستغني عن سؤال الناس وعن النظر في كتاب، قال: ولما لقن رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وخلع عليه ذلك ـ صار يقول: عندي من العلم الذي أسرّه إليّ رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل، فقال له ابن عباس: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله ﷺ ليلة الإسراء وقال: وما منا إلا له مقام معلوم، فلا يدري ما وقع لرسول الله ﷺ بعد ذلك[١]، فهذا هو التلقين الحقيقي.

فقلت له: فإذا أهل الزمان الظاهرون غالبهم ليس بأهل هذه المراتب الثلاث.

---

(١) روي هذا الأثر ضمن بعض أحاديث المعراج، انظر: «صحيح البخاري» (١/ ٧٣ بحاشية السندي) باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، حديث ابن عباس.

فقال: نعم إنما هم يتزاحمون عليها بغير حق، فقلت له: فإذا صرحوا بأنهم إنما يفعلون ذلك تبركاً بالسلف، هل عليهم لوم؟ فقال: لا. والله تعالى أعلم.

ثم إني ذكرت هذه الشروط لبعض المشايخ من أهل العصر، فقال: هذا ليس بشرط، فعرضت ذلك على الشيخ فقال: ومن أين لهؤلاء معرفة شيء من ذلك؟ فلما جهلوا ذلك مع دعواهم [٣٩أ/أ] المشيخة، ظنوا أن غيرهم حاله كحالهم، وفي ذلك تنقيص [ب٥٣/ب] لأهل الطريق، ومثل هؤلاء لا يرجى لهم صلاح ولا فلاح لعدم طلبهم الترقي، فإن طالب الترقي كلما ذكر له مقام يقول: كيف الترقي إليه حتى أصل إليه؟ ويشكر من يدله على ذلك، فلو كان عند هؤلاء خير لسألوا عن طريق الترقي إلى ذلك. فالله يلطف بنا وبهم أجمعين.

[كمال الإخلاص والخواطر]

١٠٣- وسألته رضي الله عنه: عن خطور ثواب الأعمال على قلب العبد حال الشروع في الطاعة، هل يقدح ذلك في كمال الإخلاص؟.

فقال: لا يقدح إن شاء الله تعالى إذا طلب ذلك من وجه المنة وإظهار الفاقة، لكن عليك بالأدب مع الله، وافعل كل ما آمرك به، واترك العلل كلها في جميع أعمالك وأحوالك، واقطع الكل بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا [ب٥٤/أ] ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾(١)، واحذر أن تقطع بشيء فهمته من الكتاب والسنة، ولو كان في نفس الأمر موافق للصواب، فإن معاني كلام الله لا تنحصر لأحد من الخلق، ولو انحصرت لأحد ما كان سائر المجتهدين على هدى من ربهم. فافهم.

وسمعته يقول: لا تتكلموا قط مع من أفتى في التوحيد، فإنه مغلوب على ما هو فيه، وكِلُوه لمشيئة الله عز وجل، ولا تشتغلوا بالإكثار من مطالعة كتب التوحيد، فإنها توقفكم عما أنتم مخلوقون لأجله، فكلٌّ تكلّم بحسب ذوقه، ومراد الأشياخ من المريد أن يذوق أحوال الطريق ويتكلم كما تكلموا، لا أنه يحفظ مقالات [٣٩أ/ب] الناس. انتهى.

---

(١) سورة الرعد، آية: ٣٩.

[حفظ اللسان مع العلماء]

١٠٤- **وسمعته يقول:** عليكم بحفظ لسانكم مع علماء الشريعة، فإنهم بوابون لحضرات الأسماء والصفات، وعليكم بحفظ قلوبكم من الإنكار على أحد من الأولياء، فإنهم بوابون لحضرات الذات، وإياكم والانتقاد على عقائدهم بما علمتموه من أقوال المتكلمين، فإن عقائد الأولياء مطلقة متجددة في كل وقت، بحسب مشاهدتهم للشؤون الإلهية وغيرها، ربما ثبت على عقيدة واحدة في الله حتى يموت لحجابه عن الشؤون الإلهية، وإياكم أن تقربوا من الأولياء إلا بأدب، ولو باسطوكم فاحذروهم، فإن قلوبهم مملوكة ونفوسهم مفقودة، وعقولهم غير معقولة، فربما مقتوا على [ب٥٤/ ب] أقل من القليل، وينفذ الله مرادهم فيكم.

قال: وأما المجاذيب فسلموا عليهم بترك السلام عليهم، ولا تسألوهم الدعاء، فربما دعوا عليكم وكشفوا عوراتكم. انتهى.

١٠٥- **وسمعته يقول:** إذا صحبتم كاملاً فلا تؤولوا له كلاماً إلى غير ظاهره، فإنَّ الكمل لا يسترون لهم كلاماً ولا حالاً، إذ التدبير من بقايا النفوس وحظوظها، وهم قد خرجوا عن الحظوظ، وأيضاً فإنهم لا يرون إلا الله فيسترون كلامهم عمن سواهم.

[الدعاء بالعفو والعافية]

١٠٦- **وسمعته يقول:** اسألوا الله العفو والعافية وألحوا عليه في ذلك ولو كان أحدكم صبوراً، فإن الله تعالى يحب من عباده إظهار الضعف عن تحمل سطوات بلاياه وغضبه ومكره لتعذر مقاومتهم للقهر الإلهي.

١٠٧- **وسمعته يقول:** الحقيقة والشريعة كفتا الميزان [أ٤٠/ أ] وأنت قلبها؛ فكل كفة ملت إليها فأنت لها.

[التطهير من الغل والحقد]

١٠٨- **وسمعته يقول**: عليكم بتطهير باطنكم من الغل والحقد والحرص ونحو ذلك، فإن الملك لا يرضى أن يسكن بجواركم وأنتم على هذا الحال، فكيف بالحق تعالى: «يا داود طهر لي بيتاً أسكنه»(١).

[النصح للإخوان]

١٠٩- **وسمعته يقول**: عليكم بإخراج كل ما علقت به نفوسكم ولم تسمح بإظهاره [ب٥٥/أ] من علم أو حال أو غيرهما، وعليكم بالنصح لإخوانكم ولو ذموكم.

وسمعته يقول: عليكم بإصلاح الطعمة ما استطعتم، فإنها أساسكم التي يتم لكم بها دينكم وأعمالكم الصالحة، فإن كنتم متجردين عن الأسباب فاقبلوا كلّ ما أرسله الحق تعالى إليكم من غير سؤال، ما عدا الذهب والفضة والثياب الفاخرة، وإذا بلغ أحدكم مبلغ الرجال أطلعه الله تعالى على موضع كل لقمة من أين جاءت، وعلى من يستحق أكلها من الناس، كالبناء لكل طوبة عنده مكان يضعها فيه.

[مقاطعة من قاطعه الشيخ]

١١٠- **وسمعته يقول**: إذا غضب شيخكم على إنسان فاجتنبوه، ولا تصافوه تغضبوا ربكم، فإن الأشياخ لا تغضب إلا بحق، ولا ينبغي لكم البحث عن سبب غضبه عليه، بل سلموا لشيخكم، وإذا فاجأكم في حال فلا تدفعوها عن أنفسكم، ولا تستجلبوا ذلك بجمعية باطنكم وتفعلكم فإنه سوء أدب، ولا تأنفوا قط من التعلم ممن خصه الله بفضيلةٍ كائناً من كان، لا سيما أهل الحرف النافعة وذوي البيوت، فإن عندهم من الأدب ما ليس عند غالب الناس، وإياكم [أ٤٠/ب] أن تظهروا لكم كشفاً أو كرامةً دون أن يتولّى الله تعالى ذلك من غير اختياركم، واحذروا من قربه تعالى أن يفتنكم بالقرب، مع أنه لا خصوصية لكم فيه، وذلك أن

---

(١) هذا أثر لم أجده في مصادر الحديث المعتبرة، وإنما تذكرهُ مكثرة كتب الصوفية وحكاياها مثل كتاب «روض الرياحين» لليافعي و«قوت القلوب» لأبي طالب المكي، و«الروض الفائق» للشيخ شعيب الحريفيش.

أحدكم كلما علم ما هو عليه من القرب بعد عن حضرة الله عز وجل، فإن حقيقة القرب الغيبة عن القرب بالقرب، حتى لا يشهد العبد حاله في القرب إلا بعداً، ولا حاله في العلم إلا جهلاً، ولا حاله في التواضع إلا كبراً، فعلم أن شهود القرب يمنع العلم بالقرب، ونحن أقرب إليه منكم [ب٥٥/ب] ولكن لا تبصرون[1]، واحذروا من الاغترار بمحبته لكم أن يستدرجكم بحبكم له حتى يشغلكم بكم عنه، فإنه إذا كشف لكم عن حقائقكم حسبتم أنكم هو، ومن هنا يقع الاستدراج، أين التراب من رب الأرباب؟!! فقلت له: فما الخلاص؟ فقال: أن تشهدوه تعالى به لا بكم.

[الرد على المعترضين]

١١١- وسمعته رضي الله عنه يقول: إذا نازعك أحد في مسألة، وردَّ عليك قولك في مصنفك أو غيره فلا تبادر لجوابه ولا تُرَادِدْهُ، بل تربّص وانتظر له وقتاً آخر، وتعرف سبب [ب٥٦/أ] ذلك القول عليك من الحق بحضور وأدب، فربما يكون الحق تعالى إنما رد عليك قولك على لسان هذا المنازع لغفلة طرأت عليك، ومتى أجبت عن نفسك من غير تعرف السبب، فقد خرجت عن أدب الحضرة الإلهية[2].

[ذكّر بالعلم خوفاً من أن تلجم بلجام من نار]

١١٢- وسمعته يقول: إذا ذكرت لأحد فائدة فلا تذكرها له مع شهود أنك أعلم منه أو أفضل، فتحجب بذلك، ويقوم شغوفك عند [أ٤١/أ] نفسك عليه، بل اذكر الفائدة خوفاً أن تلجم بلجام من نار يوم القيامة[3]، أو بنية نشر الشريعة في العالم لا غير، وإذا أنكرت على شخص منكراً في الشرع منصوصاً عليه باتفاق العلماء فلا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥].

(٢) وردت هذه الفتوى في كتابه «الجواهر والدرر»، انظر الفقرة رقم (٨٤٤) بتحقيقي، ط دار التقوى بدمشق.

(٣) للحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». وصححه السيوطي. انظر: «الجامع الصغير» (٢/ ٥٢٥ رقم ٨٧٣٢).

تنكره عليه بطبعك مع الغيبة عن الشارع، ولا تعنفه عليه، بل قل له: إن الشرع قد نهى عن مثل ذلك، واحذر أن تقول له: أنت مخالف للشريعة أو قد خالفت بذلك المسلمين، وارفق به ما استطعت، وإياك أن ترى نفسك عليه حال الإنكار لأنَّ نفسه تتحرك وتعاندك، ولو كان معك الحق اليقين، وذلك لأن النفس إذا تحركت ركبها الشيطان، فيصير هو الناطق فيها، فتقوم أنت وتقعد من الغيظ، اعتقاداً منك أنَّ تلك المعاندة من أخيك، ولو كشف لك لرأيت إبليس هو الناطق والراكب لأخيك، فافهم.

فقلت له: كيف أرى نفسي وأنا عالم عامل دون الجاهل الفاسق؟ **فقال**: التفاضل لا يقع في الذوات حقيقة وإنما يقع في الصفات، فصفة العلم التي قامت بك مثلاً أفضل من صفة الجهل التي [ب٥٦/ب] قامت بأخيك، فما وقع التفاضل إلا في الصفة ولم يقع التفاضل في الذات، وانظر إلى قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1] فتسمى بالاسم الذي يشاركه فيه جميع الناس، ولم يتسمَّ في هذه الآية بأعلى أوصافه كالنبوة والرسالة، فما فارق غيره إلا بالوحي، كما قال: «يوحى إليَّ»، كل ذلك مراعاةً لمقام العبودية التي خلق لأجلها، ولولا أن رسول الله ﷺ أمر بإظهار رتبته في الآخرة بقوله: «أنا سيد [أ٤١/ب] ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[2] لما تلفظ بذلك، ولا عرف أحد سيادته على بقية الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام. فافهم.

فعلم أن التفاضل لا يكون إلا في الأشياء الثابتة، وأما العلوم والأحوال فإنها غير ثابتة، فتؤخذ من محلٍّ وتعطى لمحلٍّ آخر، فإذا سلبت يا أخي من العلم ذهب فضلك الذي رأيت به نفسك على الجاهل، فلا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه أو غيره إلا بأمر إلهي، فإن البعوضة لها وجه إلى الحق تقبل به ما يقبله الإنسان [ب٥٧/أ] الكامل، وكذلك الجاهل، فانظر إليه من ذلك الوجه لتوفيه حقه[3]. والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الكهف، آية: ١١٠ .

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد وهو حسن. انظر: «الجامع الصغير» (١/ ٣٦٣ رقم ٢٦٩٣).

(٣) سقطت (حقه) من (ط).

[لا يصح لمن هو في حضرة الله ان يقهر غيره]

١١٣ وسألته رضي الله عنه: عن القهر والمنازعة، هل يوصف بهما العبد وهو في حضرة الله عز وجل؟.

فقال: لا يصح لمن هو في حضرة الحق عز وجل قهر لغيره، ولا مغالبة له ولا منازعة، لأن حضرة الحق تعطي بالخاصية صاحبها الخشوع، قال ﷺ: «ما تجلى الله عز وجل لشيء إلا خشع»[1]، ومتى ظهر من عبد قهر أو منازعة تحققنا أنه ليس في حضرة الله تعالى أصلاً، وإنما وجهه مصروف إلى الكون والحجاب. والله أعلم.

[ما تعريف العوام والخواص من اهل الطريق؟]

١١٤- وسألته رضي الله عنه: عن العوام والخواص من أهل الطريق ما تعريفهم؟.

فقال: العامي من أهل الطريق: من كان مقلداً لغيره، فاستبد بعقيدته إلى أمر مربوط، ثم سلك الطريق مع تلك العلة، فهو إن فتح له ما يوافق معتقده سماه فتحاً، وإلا سماه منعاً، وقد يجيء الحق إلى مثل هذا فلا يقبله لكونه جاء في غير معتقده، وأما أهل التحقيق من الخواص فلا يتحققون أن في الجناب الإلهي منعاً أصلاً وجوده فيّاضٌ على الدوام، وإن [٤٢/أ] وقع له منع أو عطاء أو ران، فإنما هو عبارة عن توجه عين البصيرة إلى غير الوقت الذي خلقوا له، فمتى صرفت أعين بصائرهم عن رؤية المكون قام معها الكون ولا بد، فعلم أن عين البصيرة لا تزال قابلة، والمرآة لم تزل مجلوة، وإنما التفاوت واقع في المبصرات، فإن رأت النور رأت ما كشفه النور، وإن رأت الظلمة لم تتعداها، إذ الظلمة [ب٥٧/ب] لا تتعدى ما وراءها، والأعمى إنما هو ناظر إلى ظلمة الماء الذي نزل في عينيه. والله أعلم.

[محبة ظهور الكرامة]

١١٥- وسألته رضي الله عنه: عن طلب المريد ظهور كرامة، هل يقدح ذلك في أعماله؟ وهل عدم وقوع الكرامة يدل على عدم دخوله في طريق القوم؟.

(١) لم أجده، ولكن إذا كان نزول القرآن على جبل يجعله خاشعاً متصدعاً من خشية الله، فما بالك بما تضمنه معنى هذا الأثر؟!.

فقال رضي الله عنه: طلب المريد الكرامة مما يقدح في إخلاصه، ثم لا يدل عدم الكرامة على أنه لم يحصل له شيء من مقامات القوم.

وإيضاح ذلك أن تعلم يا أخي أن الدنيا ليست موطن النتيجة والثواب، وإنما هي موطن العمل وتهيّؤ المحل، فكما أن الآخرة ليست دار عمل، كذلك الدنيا ليست بدار نتائج، فلا يجب على المريد إلا تهيّؤ المحل، وأما النتائج فإنها أمامه في الدار [ب٥٨/أ] الآخرة، فعلم أنه لا يلزم من كون الإنسان لم يكشف له عن شيء مما كشف للقوم أن يكون ناقصاً لا نصيب له فيما حصل للقوم، بل يقال: إنه عند الموت كمل تهيؤه واستعداده، ولا فرق بين من كوشف بالأمور في ذلك الوقت وبين من كوشف له طول عمره، إنما هو تقديم وتأخير. والله أعلم.

[ترتيب الأوراد]

١١٦- وسألته رضي الله عنه: عما يفعله المشايخ من ترتيب [أ٤٢/ب] الأوراد للمريدين هل هو مذهبكم؟.

فقال: لا؛ ذلك مما أكرهه ولا أقول به، لأن الأوراد تصير حينئذٍ يفعلها العبد بحكم العادة، يمر الإنسان عليها بحكم الغفلة والطبع، والقلب في محل آخر، وإذا لم يتقيد الإنسان بالأوراد وذكر الله تعالى متى وجد إلى ذلك سبيلاً في أي وقت كان بحضورٍ وإقبالٍ صادق وهمةٍ وعزم، كان أقوى في استعداده، فالمدار على عدم الغفلة في العبادة، فمن رزقه الله تعالى الحضور في الأوراد المرتبة فلا بأس به.

[أخذ العهد على المريد]

فقلت له: فما مذهبكم في المعاهدة للمريد بأن لا يعود يعصي الله عز وجل؟.

فقال: هو أيضاً مما نكرهه، لأنه لا يأمن متعاطي ذلك من الوقوع في الخيانة، فيصير عليه إثم المعصية وإثم خيانة العهد، ولو أنه لم يقع في معاهدة لكان عليه إثم واحد، فالأحسن للشيخ أن يأمر المريد بفعل الأوامر واجتناب النواهي من غير معاهدة، ويفعل الله ما يشاء. والله أعلم[١].

(١) وردت هذه الفتوى في كتابه «الجواهر والدرر»، انظر الفقرة رقم (٧٥٧) بتحقيقي، ط دار التقوى بدمشق.

١١٧- وسألته رضي الله عنه: عن الفرق بين خاطر الحق تعالى وبين خاطر الملك؟.

فقال: خاطر الحق تعالى لا يكون فيه أمر ولا نهي أبداً؛ إذ قد فرغ تعالى من الأوامر [ب-٥٨/ب] والنواهي على لسان رسوله ﷺ، فكل خاطر تجد فيه أمراً أو نهياً فاعلم أنه خاطر الملك، فعلم أن خاطر الحق تعالى الآن إنما يعطي المعارف الإلهية، ويكشف لك عن الأمور الغيبية التي جهلتها من الكتاب والسنة، ويكون سمعك وبصرك ويدك ومؤيدك إلى غير ذلك.

فقلت له: فما الفرق بين العلم والكشف؟.

فقال: الكشف هو علمك بالحقائق [أ-٤٣/أ] على ما هي عليه في نفسها، والعلم هو علمك بالأمور على ظاهرها، والله أعلم.

[تأويل حديث: «اعبد الله كأنك تراه»]

١١٨- وسألته رضي الله عنه: عن حديث: «اعبد الله كأنك تراه»(١)، أي الحالتين أكمل: [ب-٥٩/أ] أن يعبد الله كأنه يراه، أو يعبد الله على الغيب؟.

فقال رضي الله عنه: عبادة الحق تعالى على الغيب أكمل لما فيها من التنزيه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾(٢)، وأما عبادة العبد لربه كأنه يرى ربه فإن ذلك راجع إلى ما أمسكه في نفسه من شاهد الحق وأقامه كأنه يراه، وهذه درجة العوام، ثم يترقى منها إلى درجة الخصوص، وهو كونه تعالى يرى العبد والعبد لا يراه، وذلك أنك إذا ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك فقد أخليت شهودك عن بقية شهود الوجود المحيط بك، وإذا تحققت ذلك علمت عجزك عن رؤيته لتقييدك وإطلاقه، وضيقك وسعته، فإذا عرفت ذلك بقيت مع نظره المحقق إليك لا مع نظرك إليه، لأن نظرك يقيده، فيخرجه عن إطلاقه فيتحدد، وهو المنزه عن الحدود. والله أعلم.

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» عن زيد بن أرقم: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واحسب نفسك مع الموتى، واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة». انظر: «الجامع الصغير» (١٤٧/١ رقم ١١٣٣) وحسنه السيوطي.

(٢) سورة العلق، آية: ١٤ .

[الأحدية سارية في جميع الوجود]

١١٩- وسألته رضي الله عنه: عن قول بعضهم إن الأحدية سارية في جميع الوجود ما معناه؟.

فقال: اعلم أنه لما كان الإنسان روح العالم ـ وكان عبارة عن نفس ناطقة وجسم حساس، وكان حده أنه حيوان ناطق، ومتى سقط شيء [ب٥٩/ب] من حده سقطت حقيقته، وكان غيب الإنسان الذي هو روحه قائماً بظاهره، لا قيام لوجوده إلا به لمضاهاته للعالم الأكبر ـ اقتضى بهذا الاعتبار أن يكون جميع الوجود بأسره [أ٤٣/ب] مطلقه ومقيده ظاهرهُ وباطنهُ قائماً بالحق مفتقراً إليه، لا يقوم بنفسه طرفة عين، فمن شهد ذلك تحقق سريان الأحدية حينئذ في الأشياء بسيطها ومركبها وجميع أحكامها، فليتأمل ذلك فإنه نفيس. والله أعلم.

[الغرض من قبول الرفق من الناس]

١٢٠- **وسمعته رضي الله عنه يقول:** ما العلة في منع المريد من قبول الرفق من الناس؟ فقال: لأن المروءة والطبع يحملانه على مكافأة الناس على إحسانهم وتوفية حقوقهم، وعلى مراعاتهم، وإذا كان الأمر كذلك، فمتى يتحقق السالك بالجمعية مع [ب٦٠/أ] الحق تعالى، والأحدية تطلب من يتوحد ليتوحد بها، وإذا تفرق السالك فلا أحدية ولا فتح. والله أعلم.

[الذكر للتعبد]

١٢١- **وسمعته رضي الله عنه يقول:** ينبغي للذاكر أن يكون ذكره للتعبد فقط، لا لطلب مقام، وذلك ليكون في تهيئته غير خالٍ من العبادة، وقد قالوا: إنما شرعت الخلوة للتفرغ من الأكوان وتهيؤ المحل لا غير[1].

---

(١) إن للخلوة عند أهل الله معانٍ كثيرة منها:
١- ما ذكره الشيخ الخواص أعلاه.
٢- تفريغ قلب المريد من الشواغل ليصفو إلى الله تعالى.
٣- قطع علائقه بالدنيا.
٤- الإكثار من الذكر لله بغية الفلاح لقوله تعالى: ﴿واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾.
٥- توحيد جهة المريد إلى الله تعالى.
وهناك معانٍ أخرى أفاض بذكرها أهل الله تعالى في كتبهم.

١٢٢- وسمعته أيضاً يقول: إذا ورد على الباطن ذكر معين، فليكن السالك ساكناً لا يساعده بتفعله، فإذا ذهب الوارد لنفسه من غير مساعدة إلهية كان أكمل في الاستعداد.

[حسب الاستعداد يكون الإمداد]

١٢٣- وسمعته يقول: التجلي الذاتي لا يكون أبداً إلا بصورة استعداد العبد، وغير ذلك لا يكون، فإذا المتجلى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق وما رأى الحق.

قلت: وقد أوضحنا ذلك في مبحث الرؤية في العقائد الكبرى[1] فراجعه. والله أعلم.

[نكث العهد مراد إبليس]

١٢٤- وسمعته يقول: إن الشيطان ليقنع من العبد بفسخ عزمه من طاعة إلى طاعة، وذلك أنه يحسن [أ٤٤/أ] له أن يعاهد الله تعالى على إحياء ليلةٍ من الليالي بالصلاة، فإذا شرع فيها جاءه وحسن إليه الذكر وما فيه من الجمعية، فيترك العبد الصلاة ويجلس يذكر الله تعالى، فيقع العبد في نكث العهد مع الله تعالى، وهذا هو مراد إبليس.

ومن جملة [ب٦٠/ب] مكايد إبليس أيضاً أنه يأتي العبد بالكشف التام والعلم الصحيح، ويقنع منه أن يجهل من أتاه، لعلمه أن الجهل أكثف حجاب للنفس، فيدخل عليه بعد ذلك كل شبهة، ومن علامة مكره بالعبد أن يكشف له معاصي العباد في قعور[2] بيوتهم وهتك أستارهم، وهو كشف صحيح، لكنه شيطاني[3] يجب على العبد التوبة منه. والله أعلم.

[الحكمة من استقبال القبلة]

١٢٥- وسألته رضي الله عنه: عن الحكمة في وجوب استقبال القبلة [علماً أن]

---

(١) أي في كتاب «فرائد القلائد في علم العقائد» للشعراني وهو كتاب قيم جداً.

(٢) قعور جمع قعر، وقعر البيت: داخله.

(٣) كنا نسمع شيخنا رحمه الله تعالى يقول: من كشف له عن عورات الناس وما يحبّون ستره فهو كشف شيطاني، نعوذ بالله من ذلك.

الحق تعالى في جهة الكعبة دون غيرها، مع أن الجهات كلها في حق الحق تعالى واحدة؟.

فقال رضي الله عنه: لا يتقبل الحق تعالى من العبد إلا روحه لا جسده، فالعبد إذاً مستقبل للحق في غير جهة بباطنه، وليحذر العبد أن يتوهم أن نفسه قد أحاطت بها الجهات كصورته الظاهرة، خوفاً أن يبقى الحق في وهمه كالدائرة المحيطة، فإن ذلك جهل بالله تعالى، بل كما يرى نفسه التي هي ليست من عالم الحس في غير جهة، كذلك يكون [ب٦١/أ] الحق في غير جهة، وأما ظاهر العبد فإنما هو متوجه إلى جهة القبلة المخصوصة، وذلك ليجمع همه على الأمر الذي هو فيه، فإنه لو لم يؤمر باستقبال جهة معينة ـ وكان على حسب اختياره ـ لتبدد حاله [أ٤٤/ب] وكان يترجح عنده في كل وقت جهة ما، وربما تكافأت في حقه الجهات، فاحتاج إلى فكر واجتهاد في الترجيح، فيتبدد بالكلية، فلذلك اختار الحق تعالى له ما يجمع همه ويريح قلبه. انتهى.

قلت: وقد بسط الشيخ محيي الدين الكلام على هذا المحل في واقع الأنوار(١). والله أعلم.

[صاحب الحال يؤثر في الناس]

١٢٦- **وسألته رضي الله عنه**: لِمَ كان صاحب الحال يؤثر في الناس إذا وعظهم دون الكمل؟.

فقال: اعلم أنَّ أول الطريق بداية، ثم حال، ثم رسوخ، فمن صحب صاحب الحال قلب عينه كالإكسير، ومن صحب الراسخ حين رسوخه وثباته لم تؤثر صحبته فيه، ولذلك كذبت الأمم رسلها، لأن الرسل ما بعثت إلا بعد رسوخها في العلم بالله تعالى وتمكنها وحكمها على الحال، فلذلك كان الراسخ يخاطب الناس بظواهر الأمور، ويبطن عنهم ما فوق طاقتهم، فلا يؤمن به إلا القليل، فافهم.

[الموت قبل الفتح]

١٢٧- **وسألته رضي الله عنه**: عن السالك إذا مات قبل فتحه؟.

---

(١) في كتابه الجميل «مواقع النجوم» فراجعه.

فقال: يرفع إلى محل همته، لأن همته تجذبه. انتهى والله أعلم.

[بماذا ترد الخواطر؟]

١٢٨- **وسألته رضي الله عنه**: عن الخواطر إذا تراكمت على الباطن في صلاة أو غيرها، بماذا ترد؟.

فقال: لا يخلو تعلق الخاطر إما أن يكون بموجود أو بمعدوم، فإن كان تعلقه بموجود فأخرجه عنك وازهد فيه ينقطع خاطرك عنه، وإن كان تعلقه بمعدوم فتعلم أنه ليس من شأن العاقل أن يعلق خاطره بالعدم، فرد خاطرك بالعلم إلى أن يسكن. والله أعلم.

[الركون إلى عدم مكر الحق]

١٢٩- **وسألته رضي الله عنه**: عن الكمال، هل له الركون إلى [أ٤٥/أ] عدم مكر الحق تعالى به؟.

فقال: الكامل لا يحكم على الله بشيء ولو بلَّغَهُ أعلى المقامات وقال له: رضيت عنك رضاي الأكبر، فبعد ذلك كله لا يؤمن من مكره تعالى، وذلك ليوفي الألوهية حقها.

وتأمل يا أخي ما ورد في أن جبريل وإسرافيل لما خلق الله النار طفقا يبكيان، فأوحى الله [ب٦١/ب] تعالى إليهما: ما يبكيكما؟ ـ وهو أعلم ـ فقالا: خوفاً من مكرك! فقال لهما الحق تعالى: فهكذا كونا لا تأمنا مكري. والله أعلم.

[لا يكون الشطح من كامل]

١٣٠- **وسألته رضي الله عنه**: عن قول أبي يزيد[1]: «سبحاني» مع أنه مشهور بالكمال، والشطح لا يكون من كامل؟.

فقال رضي الله عنه: اعلم أن أبا يزيد لما نزّه الحقَّ تعالى وقدَّسه قيل له في سره: هل فينا عيب تنزهنا عنه؟ قال: لا يا رب، فقال له الحق تعالى: فنفسك إذن

---

(١) هو الشيخ العارف بالله تعالى أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، كان كبير الرجال، وإليه تشدّ الرحال للنهل من معين المعارف عنده، ولقد وصفه ابن عربي بأنه القطب الغوث في زمانه، توفي سنة (٢٦١هـ). انظر: «الرسالة القشيرية» (ص ٥٠).

نزه عن النقائص، فلما جاهد نفسه ونزهها عن الرذائل، قال: سبحاني قولاً ذاتياً ضرورياً حقاً، لا دعوى فيه، قال: وقد عجبت ممن يؤول أخبار الصفات كيف لم يؤول كلام العارفين، مع كونهم أولى بالتأويل من الرسل، لنقصهم في الفصاحة عن الرسل. والله تعالى أعلم(١).

[ميزان الحركات المحمودة]

١٣١- وسألته رضي الله عنه: عن ميزان الحركات المحمودة والمذمومة؟.

فقال: ميزانها أن تنظر ما بعدها؛ فإن وجدت سكوناً ومزيد علم فاعلم أنها من الحق، وإن وجدت بعدها ندماً وضيقاً وتشويشاً فاعلم أنها حركة نفسانية أو شيطانية، هذا ميزان الحركات، والله أعلم.

[كان رسول الله ﷺ إذا أتاه الوحي يغيب]

١٣٢- وسألته [أ٤٥/ب] **رضي الله عنه:** هل يصح للذاكر الإقبال على الحاضرين ومكالمتهم؟ ويكون مع ذلك حاضراً في عالم الباطن كحضوره في خلوته؟.

فقال: لا يصح ذلك لمبتدي ولا منتهي، ألا ترى إلى رسول الله ﷺ الذي هو سيد المرسلين؟ كان إذا أتاه الوحي يغيب عن الحاضرين إلى أن ينقضي الوحي، ثم يُسَرَّى عنه، هذا مع كونه كان في خطاب ملكي، فكيف يكون استغراقه في خطاب الحق تعالى؟! **فقلت له:** فهل للذاكر أن يشتغل بمعاني الذكر؟ **فقال:** لا ينبغي له أن يشتغل بمعاني الذكر، وإنما الواجب الاشتغال بالذكر على وجه كونه تعبداً لا يعقل معناه، فإذا ذكر كذلك كان [ب٦٢/أ] الذكر يعمل بخاصيته فيه. **فقلت له:** فإذاً الواجب على الذاكر مراقبة المذكور؟ **فقال:** نعم، لأن المذكور بما أتى الذاكر فلا يجده حاضراً، فيحرم مدده لأنه لا يعطى إلا الحاضر معه. والله أعلم.

[لا بد للمجذوب من عبور المقامات]

١٣٣- وسألته رضي الله عنه: عن المجذوب، هل يعرفُ الطريق كالسالك؟.

---

(١) ورد هذا التأويل في كتاب «الجواهر والدرر»، انظر الفقرة رقم (٣٤٢) بتحقيقي، ط دار التقوى.

فقال: اعلم أن مثال المجذوب مثل صاحب الخطوة الذي تطوى له الأرض، فالناس يرحلون المراحل المعتادة في مدة معلومة، وصاحب الخطوة يقطعها في أقرب وقت بغير تعب، وتنزوي له الأرض؛ إلا أنه يمر ببصره على جميع المراتب، فكذلك المجذوب لا بد من عبوره على المقامات التي هي علامة الطريق؛ فيمرّ عليها بسرعة.

وأما السالك فيقيمه الله تعالى فيها ما شاء، فلا تتوهموا أن المجذوب لا يعرف الطريق. والله أعلم [أ٤٦/أ].

[هل يثاب المصلي في البرزخ؟]

١٣٤- **وسألته رضي الله عنه**: عمن وقع له الصلاة في القبر كثابت البناني(١)؛ هل يكتب الله تعالى له ثواب تلك الصلاة مدة البرزخ أم عمله في غير معمل؟.

فقال: يكتب الله تعالى له ثواب عمله إلى أن يخرج من البرزخ، **فقلت له**: فهل لعمل المثالات المتخيلة لأهل الدنيا في النوم واليقظة التي تخرج لهم وتقضى حوائج الناس من قبور الأولياء حكم عمل من صلى في البرزخ؟ **فقال**: لعمل تلك المثل حكم عمل الصور المقيمة في البرزخ، ولها ثواب قضاء حوائج الناس.

فقلت له: فما حقيقة هذا المثال الذي أقامه الله عند قبور الأولياء؟ **فقال**: هو ملك يخلقه الله تعالى من همة ذلك الولي، أو هو مثال نشأ من صورته ينفذ الله به ما شاء من الأمور. **فقلت له**: فالأنبياء ما حكمهم؟ **فقال**: من كلمه نبي من قبره فهو عينه لا مثاله. والله أعلم.

[متى يأخذ العبد عن الله بلا واسطة؟]

١٣٥- **وسألته رضي الله عنه**: متى يصح للعبد أن يأخذ عن الله تعالى بلا واسطة من [ب٦٢/ب] الوجه الخاص؟.

فقال: إذا تحقق أنس القلب بالله تعالى بنسبة خاصة ورابطة صحيحة صح له الأخذ عن الله واستغنى عن المادة، لأن وارده لا يتوقف حينئذٍ على وجود الخلق

---

(١) وردت هذه الفتوى في كتابه «الجواهر والدرر» بأوسع من هذا المكان، لو ترجع إليه وتنظرها في الفقرة رقم (٢٨٣) والفقرة رقم (٤٤٩) بتحقيقي، ط دار التقوى بدمشق.

ولا عدمهم، قال: ومن الناس من يكون أنسه بواسطة الخلق أكثر، فيتوقف فتحه وواردُه على وجود الخلق، ولهذا يقول بعض العارفين: وجدت واردي في البلد الفلاني، أو المكان الفلاني دون غيره، أي لمناسبة أهل تلك البقعة [أ٤٦/ب] لمزاجه وباطنه، ولكن العارف الكامل لا يتقيد بهذا القيد. والسلام.

[هل الجسد يحس بعد الموت؟]

١٣٦- وسألته رضي الله عنه: هل للجسم بعد مفارقة الروح إحساس وإدراك؟.

فقال: نعم، وذلك لأن للجسد عندنا عوالمَ وحقائقَ تقبل بها التجلي الإلهي والإدراك من غير واسطة النفس، وإذا انتقلت النفس إلى محلها الأصلي بعد المفارقة وبقي الجسم؛ كان له ذلك الإدراك بتلك الحقائق التي تخصه، ولولا ذلك ما كان لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾(١) معنى، لأن التسبيح ههنا عبارة عن المعرفة، وتقديره: وإن من شيءٍ إلا يعرف ربه وموجده وينزهه ويقدسه عما لا يجوز عليه، وهذه هي حقيقة المعرفة، وبتلك الحقائق نطقوا وشهدوا، وقالوا لجلودهم: لِمَ شهدتم علينا؟! قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، قال: ولا يعرف حياة الجسم بعد انفصال النفس إلا المكاشفون الكمل؟ والله تعالى أعلم.

[القرآن بحر لا ساحل له]

١٣٧- وسألته رضي الله عنه: عن معنى قولهم القرآن بحر لا ساحل له؟.

فقال: معناه أنه يقبل جميع ما فسره به المفسرون، وذلك أن المتكلم به ـ وهو الله تعالى ـ عالم بجميع تلك المعاني والوجوه التي تدل عليها هذه الألفاظ بالنظر إلى كل شارح، فما من شارح يقصد وجهاً في شرح تلك الآية إلا وذلك الوجه مقصود للمتكلم به ـ وهو الله تعالى ـ بخلاف ما إذا كان المتكلم من الخلق، فإن الشارح لكلامه لا يتعدى مرتبة المتكلم من القصور، وإن كان اللفظ بعينه. والله تعالى أعلم [أ٤٧/أ].

(١) سورة الإسراء، آية: ٤٤ .

[هل يدخل العارف النار؟!]

١٣٨- وسألته رضي الله عنه: عن العارف إذا دخل النار في الآخرة ـ والعياذ بالله تعالى ـ هل يتبين لنا نقص مقامه في الدنيا، وأنه كان على غير قدم مرضيٍّ؟.

فقال: اعلم أن العارف إذا دخل النار فدخوله بمنزلة الأمراض التي تصيبه في الدنيا سواء، فكما أنه [ب٦٣/أ] سبحانه وتعالى ابتلى العارف بالأمراض لتتمحص عنه الذنوب ـ مع قطعنا بأن المرض لم يحط العارف عن مقامه ـ فكذلك حكم العارف إن قدر عليه دخول النار.

فقلت له: قد بلغنا أن صاحب الحال يحميه حاله وتنزوي عنه جهنم إذا مر عليها، وتقول له: جزعتني، فقد أطفأ نورك لهبي، فهل هو أكمل من العارف أم كيف الحال؟!.

فقال: صاحب الحال ناقص عن مقام العارف بلا شك، وإنما العارف ألقى قياده لتصاريف الأقدار بين يدي الله عز وجل، فلم يختر غير ما اختاره الله له، وغير العارف يفرُّ من تقديرات الحق تعالى، فلذلك كان العارف أكمل في الدرجات، فإنه إذا دخل الجنة كان صاحب الحال يرى درجة العارف كما يرى الكواكب في السماء، فيتمنى أن يكون له مرتبة العارف، فلا يقدر، والله أعلم.

فقلت له: فما وجه تعذيب المحبوب لحبيبه مع أن الحكمة تأبى ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾(١).

فقال رضي الله عنه: إنما يُبْتَلَى الحبيب ويعذَّبُ من [أ٤٧/ب] كونه محباً، وإنما ينعم من كونه محبوباً؛ كأهل الجنة ينعمون فيها من حيث كونهم محبوبين لا محبين، إذ المحب يقع له الامتحان ليتبين صدقه وكذبه عند نفسه، فقلت له: فما حال الأنبياء؟ فقال: قد جمع الله للأنبياء بين البلاء والنعيم في دار الدنيا لكمالهم، فبلاؤهم من كونهم محبين ونعيمهم من كونهم محبوبين. والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٨ .

[يكشف للمريد عن الحقائق بقدر اجتهاده]

١٣٩- وسألته رضي الله عنه: أيهما أولى للشيخ: أن يكشف للمريد عن حقائق الأمور التي لا ينالها إلا بطول السلوك فيختصر له الطريق، أم يتركه يدور في معاطف الطريق كما عليه السادة الصوفية؟.

فقال رضي الله عنه: اختصار الطريق للمريد أولى عندنا، وهي طريقة الشيخ أبي مدين المغربي(١) رضي الله عنه، كان يقصد قرب الطريق على المريد فينقلهم إلى محل الفتح من غير أن يمروا على الملكوت خوفاً عليهم من تعشُّق الأنفس بعجائب الملكوت، ثم إذا فتح على المريد حينئذ يتدلى إلى العالم فيكشفه بالحق.

فقلت له: فهل للشيخ أثر في الفتح؟.

فقال: نعم له أثر، لأن الشيخ بمنزلة الدليل الذي يقول لك: اسلك هذه الجهة فإنها أقرب من هذه، والسلوك عندنا بمنزلة الدائرة، وهي درج يقتضي أن السلوك للسالك يمر على جميعها، إذا أخذ الأمر على الترتيب، وفي ذلك تعب عليه وتطويل زمن، فإذا وقف له العارف اختصر له الطريق.

[كيف الطريق إلى الله تعالى؟]

ثم قال: أما سمعت إشارة أبي يزيد البسطامي(٢) حين قال: وقفت مع العارفين فلم أر لي فيهم قدماً، ووقفت [٤٨/أ] مع المجاهدين فلم أر لي معهم قدماً، وهكذا الصائمين والمصلين وغيرهم، إلى أن عَدَّ مقاماتٍ كثيرة، وفي كل ذلك يقول: فلم أر لي معهم قدماً، فقلت: يا رب فكيف الطريق إليك؟! فقال: اترك نفسك وتعال، فاختصر لي تعالى الطريق بألطف كلمة وأخصرها، فلما ترك نفسه قام الحق تعالى معه، وهذه أقرب الطرق. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) هو أبو مدين شعيب التلمساني المغربي العارف بالله، أصله من الأندلس من حصن قطنيانة من أعمال إشبيلية، هاجر إلى فاس ثم إلى بجاية فتلمسان، وهناك أقبل عليه الطلاب والمريدون كلهم يلتمسون معارفه، من شعره: ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا. انظر: «الطبقات الكبرى» للشعراني (١/ ١٥٤).

(٢) انظر هذا الخبر في «الجواهر والدرر الكبرى» فقرة رقم (٥٠١) بتحقيقي، ط دار التقوى بدمشق.

[مدة الإقامة في القطبية]

١٤٠- وسألته رضي الله عنه: عن القطبية[١]، هل لها مدة يقيم فيها صاحبها من سنة فما دونها إلى ثلاثة أيام إلى يوم كما قيل؟.

فقال رضي الله عنه: اعلم أنه ليس للفروع إلا ما كان للأصول، وقد أقام ﷺ في القطبية مدة رسالته وهي ثلاث وعشرون سنة على الأصح، واتفقوا على أنه ليس بعده أحد أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد أقام في خلافته عن الله ورسوله سنتين ونحو أربعة أشهر وهو أول الخلفاء الأقطاب، واستمرت القطبية بعده إلى ظهور المهدي، فهو آخر الخلفاء المحمديين، ثم يتولى بعده قطب وقته، وخليفة الله عيسى بن مريم ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ فيقيم في الخلافة أربعين سنة، فالحق عدم تقدير مدة القطبية بمدة معينة.

قال: وقد بلغنا عن الشيخ أبي النجا سالم المروزي أنه أقام في القطبية دون العشرة أيام، وكذلك الشيخ أبي مدين المغربي، فقلت له: فهل يختص القطب بكونه لا يكون إلا من أهل البيت كما سمعته من بعضهم؟.

فقال: لا يشترط ذلك، [أ٤٨/ب] ولعل من اشترط ذلك كان شريفاً فتعصب لنسبه. والله أعلم.

[البلاء تمحيص للذنوب]

١٤١- وسألته رضي الله عنه: عن علامة كون البلاء عقوبة؟.

فقال: علامته عدم الصبر، وكثرة الجزع، والشكوى إلى الخلق.

فقلت له: فما علامة كون البلاء تمحيصاً للذنوب؟.

فقال: علامته وجود الصبر الجميل من غير شكوى ولا جزع، ولا ضجر بأداء الطاعات.

فقلت له: فما علامة كونه رفع درجات؟.

فقال: علامة ذلك وجود الرضى والموافقة، وطمأنينة النفس والسكون تحت الأقدار حتى تنكشف، انتهى.

---

(١) وردت هذه الفتوى في «الجواهر والدرر الكبرى»، الفقرتين (٣٥٠-٣٥٤). انظرها ثَمّ بتحقيقي، ط دار التقوى بدمشق.

قلت: ورأيت نحو هذا التقسيم في كتاب «فتوح الغيب» لسيدي عبد القادر الجيلي[١] رضي الله عنه. والله أعلم.

وليكن ذلك آخر ما غُصْنَا عليه من درر فتاوى شيخنا سيدي علي الخواص رضي الله عنه آمين[٢].

[جواب رائع للشيخ أفضل الدين]

وقد حُبِّبَ إلي أن أختم هذه الأجوبة بجوابٍ كتبه تلميذه الشيخ العارف بالله تعالى أخي أفضل الدين[٣] لمن سأله عن مرتبة هؤلاء المشايخ الظاهرين بأنفسهم في مصر والجالسين في الزوايا بغير إذن من مشايخهم؟.

فأجاب بما صورته[٤]: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم أصلح من شئت، كما شئت، وكيف شئت، إنك أنت الوهاب[٥].

الحمد لمن أظهر العين بمحو صفات الغين، حَمْدَ عبدٍ بعبوديةِ ربه ظهر، وبربوبية نفسه بطن، وأُصلّي على عبده الجامعِ، وسرّه القامع، لكلّ مبتدعٍ فاجرٍ، ولعبوديته كافر، وعلى آله وأصحابه، نجومِ الاهتداء وشموسِ الاقتداء. وسلّم.

---

(١) هو الشيخ أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الجيلاني، ولد سنة (٤٧٠هـ)، وتوفي سنة (٥٦١هـ)، كان شيخ بغداد، مشهور بالكرامات، له كتب مفيدة منها: «الغنية لطالبي طريق الحق»، و«فتوح الغيب». عاش (٩٠) عاماً قضاها بالدعوة إليه سبحانه.

(٢) إلى هذه الكلمة انتهت نسخة (أ)، ولكن جاء بعد هذه الكلمة هذه العبارة التي لم تأتِ في (ب، ط): (. . . قال مؤلفه: وكتبه عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراوي الشافعي، خادم الفقراء عفا الله عنه، في سبع عشر رجب الفرد الحرام سنة خمس وخمسين وتسعمائة، حامداً مصلياً مسلّماً. وقد تم في (١٤) رجب سنة (١٢٩٢) ـ والحمد لله ـ بيد فتح الله النجاري الكاشقري القمبولي تغمده الله بغفرانه).

(٣) الشيخ أفضل الدين: هو ابن أحمد الشعراني شقيق الشيخ عبد الوهاب، وكان من أهل الصلاح والتقوى والمعرفة، وقد أكثر الإمام الشعراني من ذكر أحواله وأقواله في كتبه، وترجم له في أكثر من موضع ببعض خصائصه ومناقبه.

(٤) هذه الخاتمة التي هي عبارة عن أجوبة الشيخ أفضل الدين لم ترد في النسخة (أ)، بينما جاءت كاملة في (ط، ب) مع بعض الفوارق البسيطة.

(٥) من حقّ هذه الأجوبة أن تفرد بكتاب مستقل وتسلّط الأضواء عليها وشرحها، فإنها لا تقل أهميةً عن فتاوى الخواص، فإن الشيخ أفضل الدين الأحمدي له قدم راسخ في علوم القوم، وحبذا لو تفرد له دراسة يكشف فيها عن هويته الصوفية.

وبعد: فقد قال الله الحكيم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2]. والسلام عليكم أيها المشايخ الظاهرون في القرن العاشر، الجالسون للناس بغير إذن إلهيٍّ، سلامَ سُنَّةِ الإسلامِ رضِيٍّ[3]، وأسأل الله تعالى أن يعينكم على تحصيل مقام الإيمان ـ أو بعضه ـ في مثل هذا الزمان الذي لا يوجد فيه القوت إلا بالموت، واعلموا أن السعيد من اتعظ في نفسه ولم يجعله الله عِظةً لغيره، وتعفف عن الأكل من بيوت إخوانه في الولائم التي لم يُرَدْ بها وجهُ الله، ولم يجمع لهم الجموع على طعامهم حتى يفضحهم، فلا يكملوا عشاء الأصحاب إلا من السُّوق.

[لا حق لشيخ بطعام مريده إن لم يباركه]

وقد قال سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه: وعزة ربي كلُّ فقير لا يمد صاحب الطعام بالبركة الخفية طول عامه، ويحمل عنه بلايا تلك السنة كلها، ليس له أن يمد يده إلى طعامه، وقد مالت بكم ـ أيها المشايخ ـ نفوسكم الغوية إلى حبِّ الظهور الذي لم يرض به إبليس في هذه الدار، مع أمانٍ في دار الدنيا من نزول البلاء عليه، بالوعد الذي وعده الله به من الإنظار إلى يوم الدين.

وتصدّرتم لأمورٍ لم يخلقكم الله لها، ولا أنتم من أهلها، حسَّنَتْ لكم أنفسكم أحوالاً شيطانية، وأموراً نفسانية منشؤها الوهم والخيال، بواسطة الاستدراج الكامن بين صفحتي المحو والإثبات، وأعمى الله تعالى قلوبكم عن طريق الهداية، وأمال نفوسكم إلى طريق الغواية حتى ظهر أثر ذلك على وجوهكم، فتنبهوا ـ أيها الإخوان ـ لنفوسكم قبل أن يحلَّ بكم الدَّمار، وتوبوا إلى الله تعالى عن أكل الحرام والشبهات، واحترفوا[4] وكلوا من كسبكم، ولا تأكلوا بدينكم وثيابكم الصّوف،

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٦٤ .

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨ .

(٣) صفة الإذن مجرورة مثلها.

(٤) أي ليتخذ أحدكم لنفسه حرفةً يعتاش منها، فلا يكن طفيلياً.

واخفوا نفوسكم حتى يضطركم الحق تعالى إلى الظهور، إما بأمرٍ من رسول الله ﷺ يقظةً ومشافهة، وإما بإذن شيخٍ عارفٍ قد خبر الطريق.

واعلموا أنَّ من نازع أوصاف الربوبية لأجل هواه، وقنع بما يظهر في سره ونجواه من خطابٍ ومعارف وكشوف، ومواقف وإلقاء نفساني، ونعت شيطاني، فليس من الله في شيء، بل هو من الله في فيء[١]، فنعوذ بالله من الضلال بعد العرفان، ومن النكران بعد الإيمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فألقوا سمعكم إلى سماع هذه القاعدة التي برزت من اللوح الأعلى إلى العالم الأدنى، جامعةً لسر الهوية بصفة الأحدية، ونعوت الواحدية، لم تترك مرمىً لرامٍ، ولا مرقىً لراقٍ، في صفحات الوجود، ونفحات الحدود، منزهة بلسان القدم، متشبهة بلسان العدم، من حضرة الأزل والأبد، بسر تضعيف الأحد، في مراتب العدد، لا يمكن اقتناصها بطريق النقل، ولا يصح افتراسها بصحيح العقل، ومفطورة على التفويض والتسليم لكل قلبٍ سليم وطورٍ جسيم.

ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابتهُ فتنةٌ ملب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

اعلموا ـ أيها الإخوان ـ أن البرزخية الإلهية الأولى، القاضية لعدم الأسماء والصفات المتجلية على نفسها بأحدية ذاتها، المندرجة فيها الشؤون والمظاهر بتعيناتها الفائضة منها، لها علمٌ بسر الوحدانية الجامعة لمعاني الحقائق والدقائق، وتفصيلاتها في عرصة البرزخية الرحمانية، التالية للبرزخية الإلهية بالاستواء الإلهي على العرش الرحماني، بظهور الأسماء والصفات أعياناً ملكية، وأشخاصاً إنسانية، وتنوّعات حيوانية ونباتية، بحسب القوابل وتنوع المراتب وتحول المظاهر، وتبديل الشؤون بظهور ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[٢] حين التقم الصّورَ صاحبُ الصور، وتعزز الطور بسر البطون والظهور والتكوين، وتناكحت الأبناء فظهرت الآباء والأبناء، واندرجت الأسماء تحت ظلال المسمى، وغرب الإشراق بالتفاف السّاق، وظهر

(١) أي في رجوع.
(٢) سورة القلم، الآيتان: ١-٢ .

الوصف بالحرف، وبطنت الذات بشروق الصّفات، بل ما وقع بطون ولا ظهور، ولا إشراق ولا إحراق، ولا وجد معدوم ولا عدم موجود، إلا ما أظهره القدم من صفات الحدوث والعدم، وهو الآن على ما عليه كان.

ثم اعلم أن البرزخين المعبر عنهما عند أهل التحقيق بحضرتي الوجوب والإمكان، هما مظاهر الحقيقتين: المحمدية والآدمية، كما أفصح بهما لسان التنزيل بقوله: ﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾[1]، فالحقيقة الآدمية فاتقة للعدم، وراتقة للقدم، لأن الخصيص برتبتها الإظهار، والظهور للصور الشخصية، والتنوعات الكونية، والمراتب الإيجادية، والنفحات الأسمائية، والنفحات الصورية، لأنه الخليفة المنزول، والواصل الموصول، من خزانة الأزل إلى بحبوحة الأبد، وإنما عن رتبة الإمامة إلى سر الأذان والإقامة، ليتحقق بالتابعية كما تحقق بالمتبوعية، وإلا لم يكن لقوله ﷺ: «أنت أب روحانيتي وابن جثمانيتي»[2].

فائدة: وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، ثم لا يخفى أنه كما فتق الابن القديم صورة العدم، ورتق بالأبوة صورة القدم، كذلك فتق هذا الولد الأكبر والخليفة المنتظر حضرة العدم بمفتاح العدم، كما بدأنا أول خلقٍ نعيده، وكذلك ختم بأبوته الظاهرة الجامعة أوصاف الكمالات، وتعدد المقامات، وسر الإحاطات المتكثرة بظهور الوحدانية المتوحدة، بتجلي الأحدية في المراتب والشؤون، والمظاهر والعيون، من الأزل إلى الأبد، استيعاباً واستيفاءً، جامعين لكل اسم ووصف، وحائزين لكل معنىً وحرف، لأن مظهره الشريف في هذا اليوم التقييدي معدوم، لتكمل رتبة الظهور بسر نبوته، وتعمر رتبة البطون بسر بنوته، لأنه حقيقة الصورة المخلوق عليها آدم.

فلذلك اختص بالكمال المطلق، المحاذي للحق في اليوم المطلق، على الاستواء الرحماني، وبالعرش الإلهي لفصل القضاء بشهادته هو وأمته على سائر الأمم. فافهم.

---

(١) سورة الدخان، آية: ٢ .

(٢) هذا الحديث لم أجده فيما بين يدي من مصادر الحديث المعتبرة، فلعلّه من أقوال الصوفية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم لما انفتحت الدورة الآدميّة بالتناسل البشري والمظهر العددي، كذلك انفتحت هذه الدورة المحمدية بالتناسل العرفاني، والشهود الإحساني والإيقاني، ولذلك تزايدت العلوم الإلهية والمعارف الربانية، وتناقصت العلوم الفلسفية المبنية على الأفهام بظهور شمس الشريعة وبدور الإلهام، وكذلك تنازلت الحقائق من حقيقة كلّ ناطق بطن بعد ظهوره إلى كل فرد ظهر في هذه الدورة السيادية، متصفاً بحكم شريعتها، كالخضر وعيسى وغيرهما، تابعين لهذا الخاتم الجامع لجميع المقامات الإلهية في تعيناتها البشرية والملكية بكل ما احتملته صفة الظهور من حيث الوجود الذاتي الفياض، على مراتبها وعوالمها الوجوبية والإمكانية، فمن ورث الإيمان في هذه الدورة السيادية، فإنما ورثه بأحدية جمعه وتنوع وحدته، متحققاً بالعبودية، قائماً بحقيقة كل ما قامت به جميع الأمم من سر الربوبية والعبودية، بحيث إن توفرت مادة كل من كان تابعاً ومتبوعاً، ووارثاً مستوعباً لكل حقيقة نبوية في كل شخص من هذه الأمة زيادة على ما اختص به من إرث مورثه ﷺ بقدر حصته، إذ لا يمكن استيعاب جميع ما تحقق به هذا الخاتم اكتساباً ووهباً إلا لمن تحقق بالوحدانية في عصره، إذ هو خليفته على أهله وماله.

واعلم ـ يا أخي ـ أن الحقيقة المحمدية هي سر وجوب الوجود الذاتي، الممدة لحقائق الممكنات الأسمائية والصفاتية، من عالم البطون إلى عالم الظهور، بالتدريج القابل لتفصيل المظاهر الكونية، وتفصيل حقائقها الإنسانية، إنما هي أوصاف سلبية لقوابل العالم، ثبوتية الوجود لحقائقه المتوحدة، إذ امتداد الحقائق من العين المطلقة عن الإطلاق، العارية عن الأوصاف والأسماء والنعوت في الحين الذي ظهر لنفسه بنفسه من غير تعلق اسمٍ بمسماه أو صفةٍ بموصوفها، فلذلك قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[١] فشهدت الأسماء على الصفات، لعدم الشاهد والمشهود؛ لبراءتها عن التنويه إذ ذاك «كان الله ولا شيء معه»[٢]، ثم تنزلت الهوية الأحدية عن ذاتها لذاتها إلى هوية مقيدة وتنوعات متعددة، فالهوية الأحدية سارية في هويات الأعيان المتعددة لسريان الواحد في مراتب الأعداد، وهو هي لا غير، وإنما هي حجب

(١) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٢) راجع كتاب «الجواهر والدرر الكبرى» فقرة (٤٥٨) بتحقيقي، ط دار التقوى.

وهميات وأسماء[1] وصفات عدميات قائمة في عدمها بالوجود المطلق الذي هو عين كل وصل، وحجاب كل فصل، كما فصل الحق اسمه الرحمن من الله، وفصل الرحيم من الرحمن.

فلذلك تنوعت الأسماء والصفات، وتعددت الأحدية في الواحديات، وسجد كل قلب إلى موجود خاص ظهرت به الهوية وأقرت بربوبيته الواحدية، حين عدم الاسم الظاهر في المراتب الكونية بعبادة الاسم الباطن في المراتب الإنسانية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[2].

فكيف ينحجب الاسم الظاهر عن الوجود باسمه الباطن، وقد انسحب حكمه على الوجود الحق بالقول الفصل، وكيف يظهر له وجود وهو عين الباطن باسمه ومسماه في مراتب الظهور والبطون، فهو الظاهر لا أنه كان باطناً، إلا أنّه ما ثم [ب٦٤/أ] من يبطن عنه، وهو الباطن، لا أنه كان ظاهراً إلا أنه ما ثم من يظهر له، فهو هو لا أنه بالهوية موصوف، لأن كل موصوف محدود، وكل محدود مدرك، وكل مدرك واقف، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر، كل يوم هو في شأن.

وكما حكمت المراتب على الواحد بأسمائها وتعددت المظاهر بأطوارها، كذلك تعددت الرقائق وتنوعت الحقائق بالحروف الجثمانية، والحدود الوهميات، فتبين أن الواحد كثير، واللطيف خبير بما تنزل في سبحات الوجود، وترفع في حجبته، لأنه الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم؟.

واعلم ـ يا أخي ـ أن هذه الحقيقة المحمدية لما تلبست بالمظهر البشري أخبرت عن زمان شريعتها وبقاء حقيقتها باليوم الموعود الذي له ولايته، حيث قال ﷺ: «إن استقامت أمتي فلها يوم، وإن لم تستقم فلها نصف يوم»[3]، فلما جاوزت النصف علمنا أنها استقامت، فللّه الحمد، وهذا اليوم هو لبنة التمام، وخاتمة الأيام من يوم الدنيا الموعود لها، لأنه هو سابع أيام الدنيا، فلذلك اختص

(١) في (ط): وأسماً.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٢٣ .
(٣) هذا حديث لم أجده والله سبحانه هو الأعلم به.

صاحبه بيوم الجمعة، فلا يوم بعده ولا حساب، وليس بعده إلا انتشار الظلمة وارتفاع الرحمة لفقد الشموس والأقمار وانعدام النجوم والأنوار. ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾[١] فالشريعة شمس، والحقيقة بدر، فنهاية شمس الشريعة في استقامتها حين استوائها على نقطة مركزها في سماء الأجسام وقبة الأعمال، وذلك هو نصف اليوم الخصيص بظهور سلطان الشريعة، وبعدم ظهور سلطان الحقيقة، فلما مالت الشمس عن عرش الاستواء تحول سلطان الضياء، ونزلت من سماء العمل إلى أرض العلم والجدل.

وما زالت الشمس من مركزها إلا وبدر الحقيقة مشرق في أرجاء سمائها، فلا زال يسمو وينمو لظهور الحقائق العرفانية، وشهود الطوالع الإيمانية، كلما ازداد نور الحقيقة غاض نور الشريعة، لأن الشريعة محدودة والحقيقة مطلقة غير مقيدة، فسلطان الشريعة عند استواء شمسها، وهناك يظهر عزها وتنعدم الظلال عند الزوال. [ب٦٤/ب] وتعم الأنوار كل متحرك وقار، ويندرج الظل في المظلول؛ وينعدم الدليل والمدلول، ويلتحق الوجود بالعدم، ويعدم الحدوث بوجود القدم، فإذا تدلت هابطة ولبدر الغرب طالبة ورابطة، ولإبطال ما ظهر من النور ماحقة ولمركزها سابقة وسائقة، فهناك تطاولت الحجب وامتدت النصب وكثرت الظلال والستور، واندرجت الأنوار في الطور، وذلك عند آخر هذا اليوم، وهي الساعة التي نحن فيها، والحالة التي نحن عليها، وقد بين الكشف والذوق اقتراب الأمر الدنيوي وانشقاق الفجر الأخروي، وزاد في البيان عكس الظلمة والظلال، وقبض العلوم وفيض الضلال، فلا يختم هذا اليوم إلا على حثالة، ولا يرتفع في منخل التحليل إلا النخالة.

وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأخبره بوقت ظهوره من بقية هذا اليوم، وقد قرب أوان[٢] ظهوره ورفع مستوره، مع علمنا بأنه لا يظهر حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً، كما ملئت قسطاً وعدلاً، وقد وجد الظلم

(١) سورة يس، آية: ٣٨ .

(٢) في (ط): آن.

والجور في خواصنا وعوامنا ـ إلا من شاء الله ـ وكثرت الدعاوى في خصومنا بغير حق، وخرجوا بنفوسهم لدعوة الخلق بغير الحق، ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾[1]، وكيف يخاف من صُمَّتْ أذناه وعميت عيناه، بحلول الشيطان ووساوس الحرمان، حتى صار لا يسمع قول الحق على لسان الرسول الحق، ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، فكيف يدّعي الوصول من هو عن عبوديته مفصول ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[3]، وكيف يدّعي الإيصال من هو عن الحقيقة في انفصال، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[4]، جعلنا الله ـ وإيّاكم ـ ممن استقام وتمسك بالكتاب والسنة، ودام وعمل لآخرته ودنياه، مع مراقبته الله في سره ونجواه، وجعلنا ممن هو لعباد الله نافع ولنفسه وهواه قامع، وأن لا يفضحنا في الدنيا بظنوننا ودعوانا، ولا في الآخرة بهتك أستارنا وما انطوت عليه ظواهرنا وبواطننا، وأن يجعلنا مسلِّمين لقضائه مفوضين؛ مستسلمين لحكمه وإمضائه، شاكرين لنعمائه، صابرين على بلائه، خائفين من تقلبه فينا بمحوه وإثباته، ورزقنا حسن الاتباع لشريعته وسنته، والفهم عنه لنفهم فنعمل لآخرته، وأن يختم لنا بخير سابقنا ولاحقنا، وأولانا وأخرانا، وأن ينبت لنا الزرع ويدر لنا الضرع، وينزل علينا من بركات السماء والأرض، إنه هو المنعم الجواد الرؤوف الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذا ما أظهره المولى على لسان المولى، ولله الحمد دائماً أبداً، وصلى الله على السيد الأكبر والنور الأزهر والحبيب والمحبوب للرب المربوب، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ آمين [ب٦٥/أ].

هذا ما نقلته من خط أخي العارف بالله تعالى الشيخ أفضل الدين الأحمدي

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ٥١-٥٢ .
(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨ .
(٣) سورة فصلت، آية: ٣٠ .
(٤) سورة الذاريات، آية: ٥٦ .

رضي الله عنه، وهو لسان غريب مفرد ببلوغه مقام العرفان، وأظن أن غالب مشايخ العصر لا يصلح أن يكون تلميذاً له؛ لأن شرط التلميذ أن يفهم كلام شيخه، وما أعرف الآن أحداً منهم يفهم هذا الكلام، فرحمه الله رحمةً واسعةً وجمعنا عليه في دار كرامته آمين، والحمد لله رب العالمين.

قال مولانا الشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الشافعي خادم الفقراء عفا الله عنه: كتبته في سابع رجب سنة خمس وخمسين وتسعمائة، حامداً مصلياً مسلِّماً وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1] [ب٦٥/ ب].

* * *

(١) هٰهنا تمت النسختان (ب، ط).

تم تحقيقه ـ بفضل الله تعالى وحده ـ ليلة الجمعة المباركة (٣٠) رجب الفرد (١٤٣٢هـ) الموافق لـ تموز (يوليو) (٢٠١١م) بقلم أفقر الورى وأحقر من ترى الشيخ الدكتور سليم بن فهد بن محمد بن سالم بن شحادة آل شبعانية في ريف دمشق/ بيت سحم/ جوار المسجد الكبير.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات